بسم الله الرحمن الرحيم تصنيفات الامام محمد بن محمد الغزالي

البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة وقد نظم بعضهم زيّن الملّة حبرٌ احسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه ومنها احياء علوم الدين والمستصفى والمنخول في اصول

الفقه والمستصفى واللباب وبداية الهداية ومنهاج العابدين وكتاب الفردوس وكيمياء

السعادة والماخذ والتحصين والاقتصاد في الاعتقاد والجام العوام وكتاب المستظهر

الرد على ابن شريح في مسئلة الطلاق والفتاوى له والرد على الباطنية ومقاصد الفلاسفة

تهافت الفلاسفة وجواهر القران والغاية القصوى وفضائح الامامية وغور الدور

الرد على ابن شريح ومحك النظر ومعيار العلم وميزان العمل والصراط المستقيم

مدارك العقول وشفاء الغليل واساس القياس وكتاب في ان المجتهد مصيب صنفه بدمشق

حقيقة القران والمنتحل في الجدل وشرح اسماء الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ عن الضلال

كتاب الاربعين وكتاب اسرار المعاملات وكتاب بدائع صنع الله وكتاب مراقي الزلفى

وكتاب المبين عن دقائق علوم الدين وكتاب التوحيد وكتاب النوادر وكتاب المغربين

وكتاب الكنز في العدة والانيس في الوحدة وكتاب اخلاق الابرار وكتاب التفرقة بين الايمان والزندقة

وكتاب قانون الرسول ... العجم وكتاب القربة الى الله وكتاب النصوح والمواعظ وكتاب تلبيس ابليس

وكتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين وكتاب المعراج وكتاب نصائح السلاطين

وكتاب جلي الاولياء وكتاب قانون التاويل وكتاب منطق الطير وكتاب ... اى علم الرسائل

وكتاب الاملاء وكتاب حجة الحق في توجيه الاولة على الائمة وكتاب تنبيه الغافلين و

وكتاب اسرار انوار الالهية وكتاب الاشراف على مطالعة الانصاف وكتاب مسائل البغدادية

وكتاب ماخذ الادلة وكتاب لباب النظر وكتاب مسائل الخلاف وكتاب المستظهرين ... البغدادية

وكتاب المبادي والغايات وكتاب قواصم الباطنية وكتاب تعليق الاصول وكتاب مقصد الاصول

وكتاب نهاية العقول ومسائل الاصول وكتاب الجام اهل البدع وكتاب تهذيب الاصول وكتاب جدول المرقوم

وكتاب الاجوبة وكتاب التعليق الكبير وكتاب المفردات وكتاب في قتل مسلم بالذمي وكتاب الاختصار وكتاب المأخذ وهو غاية العقول في ...

وكتاب النفخ والتسوية وكتاب تحقيق علوم الاخرة وكتاب العنقاء في ... وكتاب خزائن الدين في اسرار العالمين

وكتاب مراسم الاسلام وكتاب الاجوبة المسكتة ورسالة في المنطق والرسالة اللدنية والمعارف العقلية ومسائل

... الانصاف في مسائل الخلاف وكتاب التعليق وكتاب لباب احياء علوم الدين وخلاصة المختصر وجواب مسائل المنقولة ...

Yeni ... 2325

وقال الراغب الاصفهاني في المحاضرات نقلا عن الامام الشاذلي انه قال اضطجعت
في المسجد الاقصى فرأيت في المنام قد نصب تخت خارج الاقصى في وسط الحرم
فدخل خلق كثير افواجا افواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا جميع الانبياء والرسل
قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد ع م جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء
اساءة ادب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد ع م جالس عليه بانفراده وجميع الا
الانبياء ع م على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح ع م فوقفت انظر و
اسمع كلامهم فخاطب موسى لنبينا ع م وقال له انك قد قلت علماء امتي كانبياء بني اسرائيل
فارنا منهم واحدا فقال هذا واشار الى الامام الغزالي فسأله موسى ع م سؤالا فاجابه
بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى ع م بان الجواب ينبغي ان يطابق السؤال والسؤال
واحد والجواب عشرة فقال الغزالي هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت وما تلك
بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاي فعددت لها اوصافا كثيرة قال فبينما انا متفكر في جلالة
قدر محمد ع م وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون
على الارض اذ رفسني اي ضربني شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم
يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخررت مغشيا
فلما اقاموا الصلوة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي هذا ومن هذا

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف وانسب الى قدره ما شئت من عظم

مفاتيح الجنان شرح الشرعة

قال الشيخ الشمني في شرحه للشفاء
الامام الغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي قال النووي في التبيان
[في] آداب حملة القرآن انه بتخفيف الزاي نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس
[قال] ابن الاثير بالتخفيف خلاف المشهور قال واظن به ان هذه النسبة
نسبة في التشديد الى الغزالي على عادة اهل جرجان وخوارزم كالعطاري
[و]القصاري الى العصار قال وحكى لي بعض من ينتسب اليه من اهل
طوس انه منسوب الى غزالة بنت كعب الاحبار انتهى وفي الطبقات
[لل]سبكي كان والده يغزل الصوف يبيعه بدكانه بطوس ولما
حضرته الوفاة اوصى به وباخيه احمد الى صديق له متصوف من اهل الخير وقال له
[ا]ن لي لتأسفا على تعلم الخط واشتهي استدراك ما فاتني في ولدي تعلمهما الخط ولا عليك
ان تنفد في ذلك جميع ما اخلفت لهما فلما مات ابوهما اقبل الصوفي على
تعلمهما الى ان فني الذي خلفه ابوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال
لهما اري ان تلجأ الى مدرسة كانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما
[على ز]منكما ففعلا ذلك فكان السبب في سعادتهما وكان الغزالي يقول
[ط]لبنا تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ولد سنة
[خم]سين واربعمائة بطوس وتوفي بها سنة خمس وخمسمائة فان قلت
من طالب ردئ الاخلاق قد حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم
الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان
يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما
انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم
ويرددونه ويترددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء وقال ابن
مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب قال بعضهم انما العلم
الخشية اذ قال الله انما يخشى الله من عباده العلماء فكانه اشار الى اخص ثمرات
العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى
العلم ان يكون الا لله اي العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته
وانما حصل لنا حديثه والفاظه

بسم الله الرحمن الرحيم تصنيفات الإمام [illegible]

البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة وقد نظم بعضهم [illegible] ترتيب الملة حجبر

بين الملة جبر احسن الله خلاصه ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه ومنها احياء علوم الدين

والمستصفى والمنخول في اصول الفقه واللباب وبداية الهداية ومنهاج العابدين وكتاب

الفردوس وكيمياء السعادة والماجد والتحصين والاقتصاد في الاعتقاد والجام

الجام العوام وكتاب المستظهر والرد على ابن شريح في مسئلة الطلاق والفتاوى له والرد

على الباطنية ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة وجواهر القران والغاية القصوى و

فضايح الاباحية وغور الدور وهو الرد على ابن شريح ومحك النظر ومعيار العلم وميزان العمل

والصراط المستقيم ومدارك العقول وشفاء العليل واساس القياس وكتاب في مسئلة

كل مجتهد مصيب صنفه بدمشق وحقيقة القران والمنتحل في الجدل وشرح اسماء الحسنى

ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وكتاب الاربعين وكتاب اسرار المعاملات في

كتاب بدايع صنع الله وكتاب مراقي الزلفى وكتاب المبين عن دقائق علوم الدين وكتاب

التوحيد وكتاب النوادر وكتاب المقربين وكتاب الكنز والعدة والاكسير في الوحدة وكتاب

اخلاق الابرار وكتاب التفرقة بين الايمان والزندقة وكتاب قانون الرسول عم وكتاب

القربة الى الله وكتاب النصوح في المواعظ وكتاب تلبيس ابليس عليه اللعنة وكتاب [illegible] العلميين

والعمليين وكشف معاني الدارسين وكتاب المعراج وكتاب نصايح السلاطين وكتاب حلية

الاولياء وكتاب قانون التاويل وكتاب منطق الطير وكتاب الوسائل الى علم الرسائل

وكتاب الاملاء وكتاب حجة الحق في توجيه الاسولة على الائمة وكتاب تنبيه الغافلين و

كتاب [illegible] الانوار [illegible] النبوية وكتاب الاشراف على مطالعة الانصاف وكتاب مسائل البغدادي

وكتاب ماخذ الاخ [illegible] اداب النظر وكتاب مسائل الخلاف وكتاب المستشهدين وكتاب

المبادي والغايات وكتاب قوام الباطنية وكتاب تعليق الاصول وكتاب مقصد الاصول

وكتاب نهاية الفصول في مسائل الاصول وكتاب الجام اهل البدع وكتاب تهذيب الاصول

وكتاب الجدول المرقومة وكتاب الاجوبة وكتاب التعليق الكبير وكتاب المفردات و

كتاب في قتل مسلم بالذمي وكتاب الاستبصار وكتاب الماخذ وهو غاية القصوى في بحث

كتاب التصحيح والتسوية وكتاب كشف علوم الاخرة وكتاب الفتوى في المذهب و

كتاب خزائن الدين في اسرار العالمين وكتاب محاكم الاسلام وكتاب الاجوبة المسكتة

والرسالة والمنطق والرسالة الدينية الى المعارف العقلية ومسائل الحاجة

الانصاف في مسائل الخلاف وكتاب التعليق وكتاب مختصر احياء علوم الدين وخلاصة

مختصر [illegible] مسائل المتفرقة وغيرها [illegible] تم

[illegible] الغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد [illegible] النووي في التبيان في اداب حملة القران [illegible]

[illegible] الى [illegible] قرية من قرى طوس وقال ابن الاثير التخفيف خلاف المشهور [illegible]

[illegible] طوس [illegible] منسوب [illegible] العطار [illegible]

[illegible] الى غزالة بنت كعب الاحبار [illegible] الطبقات [illegible]

[illegible] الوفاة [illegible]

[illegible]

[illegible] ان يكون الا لله [illegible]

[illegible] سنة خمسين واربعمائة بطوس وتوفي بها [illegible]

[illegible]

HACI MAHMUD EFENDI
Vakıf Kütüphane

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله رحمه الله قال
أملى الشيخ الأجل الإمام الزاهد الموفق حجة الإسلام زين الدين
شرف الأئمة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي أعلى الله في الجنة
درجته ورزقنا سيرته وسريرته هذا الكتاب وهو آخر كتاب
صنفه ولم يسمعه منه إلا خواص أصحابه وهو الحمد لله الملك
الحكيم الجواد الكريم الرحمن الرحيم الذي فطر السموات والأرض
بقدرته ودبر الأمور في الدارين بحكمته وما خلق الجن والإنس
إلا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين والدليل لائح للناظر
ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين والصلوة
على سيد المرسلين وعلى آله الأبرار الطيبين أجمعين وسلم
وعظم إلى يوم الدين أما بعد فاعلموا إخواني أسعدكم الله وإيانا
بمرضاته أن العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد
وبضاعة الأقوياء وطريق الأتقياء وقسم الأعزة ومقصد ذوي الهمة
وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار أولي الأبصار وهي سبيل
السعادة ومنهاج الجنة قال الله تبارك وتعالى وأنا ربكم
فاعبدون وقال جل وعلا إن هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا ثم إنا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها
إلى غاياتها مقاصدها التي هي أماني سالكيها فإذا هي طريق وعر

وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات
عظيمة الآفات كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك
والمقاطع غزيرة الأعداء والقطاع عزيزة الأشياع
والأتباع وهكذا يجب أن يكون لأنها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا
لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة حفت بالمكاره
وإن النار حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم ألا إن الجنة
حزن بربوة ألا وإن النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فإن العبد
ضعيف والزمان صعب وأمر الدين متراجع والفراغ قليل
والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير
والأجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلا بد
منها فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد أبد الآبدين
ومن فاتته ذلك منها فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين
فصار هذا الخطب إذن والله معضلا والخطر عظيما
ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل من يقصد من القاصدين
من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل إلى المقصود ويظفر
بالمطلوب وهم الأعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل
لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم أوصلهم
بفضله إلى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره أن يجعلنا
وإيانا من أولئك الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا هذا الطريق

بهذه الصفة نظرنا فاما معرفة الطرق في كيفية قطعها وما يحتاج اليه
العبد من الاهبة والعدة والالة والحيلة من علم وعمل عسى
ان يقطعها بحسن توفيق الله في سلامة ولا ينقطع في عقباتها
المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع
هذه الطريق وسلوكها كتبا كاحيا علوم الدين وكتاب اسرار والقربة
الى الله وغير ذلك واحتوت على دقائق من العلوم
اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما
لم يحسنوه منها فاي كلام افصح من كلام رب العالمين فقد قالوا
اساطير الاولين الم تسمع الى قول زين العابدين علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم حيث يقول

اني لاكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن ... الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون اقبح ما ياتونه حسنا

واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق
الله تعالى بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده
الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه
الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي

يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه
ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار
معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله التوفيق
ان اول ما يتنبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها
خطرة سماوية من الله وتوفيق خاص الهي وهو المعني
بقوله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله
فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل
يا رسول الله فهل لذلك علامة يعرف بها فقال التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزول الموت فاذا اخطر بقلب العبد
اول كل شيء يقول اني اجدني منعما علي بضروب
من النعم كالحيوة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني
الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار
والافات وان لهذه منعما يطالبني بشكره وخدمته
وان اغفلت ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني باسه
ونقمته وقد بعث الي رسولا ايده بالمعجزات الخارقة
للعادات الخارجة عن مقدور البشر واخبرني بان لي
ربا جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما يامر وينهى قادرا

على أن يعاقب إن عصته ويثيب إن أطاعته عالما بأسراره
وما يختلج في أفكاره ذي وتوعد وعيد وأوعد وأمر بالتزام قوانين
الشرع فيقع في قلبه أنه ممكن إذ لا استحالة لذلك في العقل
في أول البديهة فيخاف على نفسه عنده ويفزع فهذا هو
خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه
المعذرة ويزعجه إلى النظر والاستدلال فيتململ حينئذ العبد
عند ذلك ويقلق وينظر في طريق الخلاص وحصول الأمان له
مما وقع بقلبه أو سمع بأذنه فلا يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله
في الدليل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم
اليقيني بما غاب عنه ويعلم أن له ربا كلفه وأمره ونهاه
فهذا أول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم
والمعرفة ليكون من أمره على بصيرة فيأخذ في قطعها من غير بد
بحسن النظر في الدلائل ووفور التأمل والتعلم والسؤال
من علماء الآخرة الذين هم أدلاء الطريق وسرج الأمة
وقادة الأئمة والاستفادة منهم واستمداد الدعاء الصالح
منهم للتوفيق والإعانة إلى أن يقطعها بتوفيق الله سبحانه
وتعالى فيحصل له العلم اليقيني بالغيب وهو أن له إلها
واحدا لا شريك له هو الذي خلقه وأنعم عليه بكل هذه النعم
وأنه كلفه بشكره وأمره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه

وحذّره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد إن
أطاعه وبالعقاب الخالد إن عصاه وتولى عنه فعند ذلك
تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمر للخدمة
والإقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي طلبه فوجده
وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه
من خدمته بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه المعرفة بالله
سبحانه وتعالى وما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا
فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث ليأخذ في العبادة
ويشتغل بها فينظر فإذا هو صاحب جنايات وذنوب وهذا
حال الأكثر من الناس فيقول كيف أقبل على العبادة وأنا
مصر على المعصية ومتلطخ بها فيجب أولا أن أتوب إليه
ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من أسرها وأتطهر عن أقذارها
فأصلح للخدمة وبساط القربة فتستقبله هاهنا عقبة التوبة
فيحتاج لا محالة إلى قطعها ليصل إلى ما هو المقصود منها
فأخذ في ذلك بإقامة التوبة بحقوقها وشرائطها إلى أن قطعها
فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن
إلى العبادة ليأخذ فيها فنظر فإذا حوله عوائق محدقة به
بكل واحدة منها تعوقه عما قصده من العبادة بضرب
من التعويق فتأمل فإذا هي أربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس
فاحتاج لا محالة إلى دفع هذه العوائق وإلا فلا يتأتى له أمر العبادة

أمره مراده من العباد فاستقبلته ههنا عقبة العوائق فيحتاج إلى قطعها
بأربعة أمور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان
والنفس فأشدها إذ لا يمكنه التجرد عنها ولا أن يقهرها بمرة
ويقمعها كالشيطان إذ هي المطية والآلة ولا مطمع أيضاً
في موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والإقبال عليها
إذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج
إذن إلى أن يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له
فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المهالك
والمفاسد فيأخذ إذن في قطع هذه العقبة ويستعين بالله
جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع إلى قصد العبادة
فإذا العوارض تعترضه فتشغله عن الإقبال على مقصوده
من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك كما ينبغي فتأملت
فإذا هي أربعة الرزق يطالبه النفس به وتقول لا بد لي
من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت أيضاً
عن الخلق فمن أين يكون قوامي ورزقي والثاني الأخطار
من كل شيء يخافه أو يرجوه أو يريده أو يكرهه ولا يدري صلاحه
في ذلك أو فساده فإن عواقب الأمور مبهمة فيشتغل قلبه
بها فإنه ربما يقع في فساد أو مهلكة والثالث الشدائد
والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب

لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم غصة
يتجرعها وكم شدة تستقبله وكم هم وحزن يعترضه وكم مصيبة
تلقاه والرابع أنواع القضاء من الله سبحانه وتعالى بالحلو
والمر ترد عليه حالاً فحالاً والنفس تسارع إلى السخط وتبادر
إلى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الأربعة فاحتاج
إلى قطعها بأربعة أشياء التوكل على الله سبحانه وتعالى في مواضع
الرزق والتفويض إليه في مواضع الخطر والصبر عند نزول
الشدائد والرضا عند نزول القضاء فأخذ في قطع هذه العقبة
بإذن الله تعالى وحسن تأييده فلما فرغ من قطعها وعاد إلى
قصد العبادة ونظر فإذا النفس فاترة كسلانة لا تنشط
ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي وإنما ميلها أبداً إلى غفلة ودعة
وراحة وبطالة بل إلى شر وفضول وبله وجهالة
فاحتاج معها ههنا إلى سائق يسوقها إلى الخير والطاعة
وينشطها له وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويقعدها
وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله تعالى
وحسن ما وعد من أنواع الكرامة وتذكر ذلك سائق يسوقها
فيبعثها على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف
من أليم عقاب الله تعالى وصعوبة ما أوعد من أنواع العقوبة
والإهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويقعدها

فهذه عقبة البواعث استقبلته ههنا فاحتاج الى قطعها بهذين
المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله عز وجل فقطعها فلما
فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقا
ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة
واقامها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فادامها فنظر
فاذا يبدو لهذه العبادة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان
عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته
الناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلوم نفسه فيه
فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها فاستقبلته
ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة
ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة
باذن الله سبحانه وتعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة
الجبار تعالى وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة
كما يحق وينبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق
في بحار من نعم الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم عليه
من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة
وخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فيحط
عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدم الخاصين لله عز وجل
وتزول عنه تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى وحسن نظره

فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر واخذ في قطعها بما امكنه
من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة
ونزل فاذا هو بمقصوده ومطلوبه بين يديه فلم يسر الا قليلا
حتى وقع في ميدان الفضل وصحراء الشوق الى الله عز وجل
وبستان الانس به وعرصات المحبة ثم يقع في رياض الرضوان
وبساتين الانس ثم الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب
ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه
الحالة ويتقلب في طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا
وقلبه في العقبى ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل من الخلق كلهم
ويستقذر الدنيا ويحن الى الموت ويستكمل الشوق الى الملا
الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين اليه يردون عليه
بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب
راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر
والانس من هذه الدار الفانية المفتنة الى الحضرة الالهية
ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة
نعيما مقيما وملكا كبيرا عظيما ويلقى هنالك من سيده الرحيم المفضل
الكريم جل ذكره من اللطف والعطف والبر والترحيب
والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين
كل يوم في زيادة الى ابد الآبدين فيا لها من سعادة عظيمة

وياله من دولة عالية ويا له من عبد مسعود وامر مغبوط وشان محمود
نسئل الله البار الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة
والمنحة الجسيمة وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين نصيبهم
من هذا الامر الا وصف وسماع وعلم وتمني بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمناه
من العلم حجة علينا يوم القيمة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك
والقيام بموجب محبته ومرضاته انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
فهذا هو الترتيب الذي كشفه لي في طريق العبادة واعلم الآن
ان الحاصل منه سبع عقبات الاولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة
والثالثة عقبة العوائق والرابعة عقبة العوارض والخامسة عقبة
البواعث والسادسة عقبة القوادح والسابعة عقبة الحمد
والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الان
نشرع في شرح هذه العقبات بشرح موجز
وبالله التوفيق

العقبة الاولى وهي عقبة العلم فاقول وبالله
يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم
فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران
لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين
ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب
وارسلت الرسل بل لاجلهما خلق الله السموات والارض

وما فيهما من الخلق وناهيك آيتين في كتاب الله عز وجل احدهما قوله
جل ذكره الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد
والآية الثانية قوله عز من قائل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم
بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما
ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور
باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم
اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي عليه السلام ان فضل
العالم على العابد كفضلي على ادنى امتي وقال عليه السلام نظرة الى العالم
احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال عليه السلام
الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم العلماء
من امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن لا بد
للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة
الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة اذ هي
الاصل لكن الانتفاع بثمرتها فاذا لا بد للعبد من ان يكون له من كلا
الامرين نصيب وحظ ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله اطلبوا
هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم

طلبا لا تنصروا بالعلم ولما استقر أنه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم أولى
بالتقديم لا محالة لأنه الأصل والدليل ولذلك قال النبي عليه السلام
العلم إمام العمل والعمل تابعه وإنما صار العلم أصلا متبوعا
يلزمك تقديمه على العبادة لأمرين أحدهما لتحصل لك العبادة
وتسلم فإنك أولا يجب أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد
من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل
في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق
فتكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر
العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من جملة كتب
إحياء علوم الدين ثم يجب أن تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات
الشرعية على ما أمرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي
لتترك ذلك وإلا فكيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هي وكيف
هي وكيف يجب أن تفعلها وكيف تجتنب معاصي لا تعلم أنها
معاصي حتى لا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة
والصلوة والصوم وغيرها يجب أن تعلم بأحكامها وشرائطها
حتى تقيمها فربما أنت مقيم على شيء سنين وأزمانا مما يفسد عليك
طهاراتك وصلواتك ويخرجها عن كونها واقعة على وفاق
السنة وأنت لا تشعر بذلك وربما يعتريك مشكل ولا تجد من تسأله
عن ذلك وأنت ما تعلمته ثم ظهر هذا الشأن أيضا على العبادات

الباطنة التي هي مساعي القلب يجب أن تعلمها من التوكل والتفويض
والرضا والصبر والتوبة والإخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره
إن شاء الله تعالى ويجب أن تعلم مناهيها التي هي أضداد هذه
الأمور كالسخط والأمل والرياء والكبر لتجتنب ذلك فإن هذه
فرائض نص الله تعالى على الأمر بها والنهي عن أضدادها
في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال
الله تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين واشكروا لله إن كنتم
إياه تعبدون واصبر وما صبرك إلا بالله وقوله تعالى وتبتل
إليه تبتيلا أي أخلص إليه إخلاصا ونحو ذلك من الآيات كما نص
على الأمر بالصلوة والصوم فما لك أقبلت على الصلوة
والصوم والحج وتركت هذه الفرائض والأمر بهما من رب
واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها القيوم أصبح
بعاجل حظه مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر
معروفا وترك أهل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نورا وحكمة
وهدى وأقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام
فتخاف أنها المسترشد أن تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات
بل لا تتركها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون
في لا شيء وربما أنت مصر على معصية من هذه المعاصي التي
تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام أو شراب أو نوم

تبتغي به قربة إلى الله عز وجل فتكون في لا شيء وأشد من ذلك كله أنك تكون من الأمل في الأمل معصية محضة فتظنه نية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه ولذلك تكون في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا إلى الله تعالى وتكون في رياء محض فتحسبه حمدا لله تعالى أو دعوة للناس إلى الخير فتأخذ تعتد على الله المعاصي بالطاعات وتحسب الثواب العظيم في موضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة عظيمة قبيحة فهذه والله مصيبة قطيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك أن الأعمال الظاهرة على أنواع من المساعي الباطنة تصلحها وتفسدها كالإخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة ووجه تأثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمله الظاهر أيضا فيفوته طاعات الظاهر والباطن فلا يبقى في يده إلا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نوما على علم خير من صلوة على جهل وإن العامل بغير علم يفسد أكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلماء إنهم هم السعداء أو يحرم الأشقياء فالمعنى بهذا والعلم عند الله أن أحدا شقوته أن لا يتعلم العلم ثم يشتغل ويتعب في العبادة على خبط فما يكون لهم من ذلك إلا العناء نعوذ بالله

من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين رضي الله عنهم بالعلم خاصة من بين أشياء الناس فإن مدار أمر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر أولي الأبصار وأهل التأييد والتوفيق فإذا تبين لك بهذه الجملة أن الطاعة لا تحصل للعبد ولا تسلم له إلا بالعلم فيلزم إذا تقديمه في بيان العبادة ولأن الحكمة الثانية التي توجب تقديم العلم لأن العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وذلك لأن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله سبحانه وتعالى فعليك بالعلم أرشدك الله يا سالك طريق الآخرة أول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ورحمته فإن قلت إن قد ورد في الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله عليه أنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في أمر العبادة فاعلم أن العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلاثة علم التوحيد وعلم السر نعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة فأما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما يعرف به

اصول الدين وهو ان لك إلهاً واحداً عالماً قادراً حياً مريداً متكلماً سميعاً
بصيراً واحداً لا شريك له متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن دلالات
الحدث متفرداً بالقدم على كل محدث وان محمداً صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه وتعالى وفيما ورد
على لسانه من امور الآخرة ثم مسائل في شعائر السنة يجب
معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله تعالى ما لم يأت به كتاب
ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد
موجود اصلها في كتاب الله سبحانه وقد ذكرها شيوخنا رضي الله عنهم
في كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل
ما لا تأمن الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه
فهذه هذه وبالله التوفيق وان الذي يتعين فرضه من علم
السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى
والاخلاص له والنية وسلامة العمل وعامة ذلك يأتي في كتابنا
هذا ان شاء الله تعالى وان الذي يتعين من علم الشريعة فكل
ما يتعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة
والصلوة والصيام واما الحج والجهاد والزكوة ان تعينت عليك
وجب عليك علمه لتؤديه والا فلا فهذا حد ما يلزم العبد
تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث لا بد لك من ذلك
فان قلت هل يفترض علي ان اتعلم من علم التوحيد ما انقض به

جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض به جميع البدع
والزمهم حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية انما يتعين عليك
ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير ولذلك لا يتعين عليك
معرفة فروع علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع
مسائله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف
ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك دفع تلك الشبهة بما امكن
من الكلام المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه داء محض لا دواء له
فاحترز منه جهدك فان من ابتلي به لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته
ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل
السنة يحل الشبهة ويرد على اهل البدع ويشتغل بهذا
العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد
سقط الفرض عمن سواه ولذلك لا يلزمك معرفة دقائق
علم السر وجميع شرح عجائب القلب الا ما يفسد عليك
عبادتك فيجب عليك معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص
والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه
واما ما سواه فلا ولذلك لا يلزمك معرفة سائر ابواب الفقه
من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات والغصب
والاستحقاق انما كل ذلك فرض على الكفاية فان قلت هذا القدر
من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم

فاعلم أن الأستاذ فاتح فاتح ومسهل والتحصيل معه أسهل وأروح
والله تعالى بفضله يمنّ على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم
سبحانه وتعالى ثم اعلم أن هذه العقبة التي هي عقبة العلم
عقبة كؤود ودونها ينال المطلوب والمقصود ولقطعها
كئيبة وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل
وكم من سلكها فزل وكم من تائه فيها متحير وكم من حسير
منقطع وكم من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها
سبعين سنة والأمر كله بيد الله عز وجل إنما تعظم على ما ذكرناه
من شدة الحاجة للعبد إليه وبناء أمر العبادة كله عليه لا سيما
علم التوحيد وعلم السر فلقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود
عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال إلهي وما العلم
النافع قال أن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي
على كل شيء فإن هذا الذي يقربك إليّ وعن علي رضي الله عنه
أنه قال ما يسرني أن لو مت طفلا وأدخل الجنة ولم أكبر
فأعرف ربي فإن أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم
عبادة وأحسنهم في الله نصيحة فأما شدتها فابذل لنفسك
في الإخلاص في طلب العلم وليكن الطلب طلب دراية لا طلب
رواية واعلم أن الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه
الناس إليه ويجالس به الأمراء أو يباهي به النظراء أو يصيد به الحطام

فتجارته بائرة وصفقته خاسرة قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله
عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم
وخطره وإياك أن يزين لك الشيطان فيقول إذا كان قد ورد
هذا الخطر العظيم في العلم فتركه أولى فلا تظنن ذلك فلقد
روي عن النبي عليه السلام قال اطلعت ليلة المعراج على النار
فرأيت أكثر أهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم
فمن لا يتعلم العلم لا يتأتى له إحكام العبادة والقيام بحقوقها
ولو أن رجلا عبد الله سبحانه عبادة ملائكة السماء بغير علم كان
عند الله من الخاسرين فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين
والتدريس وتجنب الكسل والملال وإلا فأنت في خطر
الضلال والعياذ بالله ثم جملة الأمر أنك إذا نظرت في دلائل
علمت أن للعالم إلهاً قادراً عالماً حياً مريداً سميعاً
بصيراً متكلماً منزهاً عن حدوث الكلام والعلم والإرادة
مقدساً عن كل نقص وآفة وأنه لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز
عليه ما يجوز على المحدودين لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء
من خلقه ولا يتضمنه الأماكن والجهات ولا تحله الحوادث والآفات
ونظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلام
نبوته فعلمت أنه رسول الله وأمينه على وحيه وما كان السلف الصالح
يعتقدونه من أن الله تعالى يرى في الآخرة لأنه موجود وليس في جهة محدودة

وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وليس بحروف متقطعة والأصوات
إذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وأنه لا يكون في الملك
والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر إلا بقضاء الله وقدره وإرادته
ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والإيمان والكفر
وأنه لا يجب على الله تعالى لأحد من خلقه من أثابه فبفضله
ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط فهذه أصول
درج السلف الصالح رضوان الله عليهم على اعتقادها والتمسك بها
ووقع عليها الإجماع قبل نبوغ البدع وظهور الأهواء نعوذ بالله
من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت
في أعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تأتي في هذا
الكتاب ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما تحتاج إلى استعماله
كالطهارة والصلوة والصوم ونحوه فلقد أديت فرض الله تعالى
عليك الذي تعبدك به في باب العلم ولقد صرت من علماء
أمة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم إن عملت
بعلمك وأقبلت على عمارة معادك كنت عبدا عالما عاملا
لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل فلك
الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل

وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت
حقها بإذن الله تعالى والله سبحانه مسؤول أن يمدك وإيانا
بحسن توفيقه وتيسيره إنه أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم

العقبة الثانية

وهي عقبة التوبة
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لأمرين
أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شؤم الذنوب يورث
الحرمان ويعقب الخذلان ولأن قيد الذنوب يمنع عن المشي
إلى طاعة الله عز وجل والمسارعة إلى خدمته وإن ثقل
الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات
وإن الإصرار على الذنوب مما يسود القلوب فتجدها في ظلمة
وحيرة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاوة ولا لذة
للطاعة ولا حلاوة وإن لم يرحم الله سبحانه وتعالى فسيجر
صاحبها إلى الكفر والحرمان والشقاوة فيا عجبا كيف
يوفق للطاعة من هو في شؤم المعاصي وقسوة الذنوب
وكيف يدعى إلى خدمة الحضرة من هو مصر على المعصية مقيم
على الجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالأقذار
والنجاسات وفي الخبر عن الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال إذا كذب العبد يتنحى عنه الملكان من نتن ما يخرج من فيه
فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد

يجد المصر على العصيان توفيقا ولا خفة اذ كانوا لعبادة مع شؤم الذنوب
فلذته لا حلاوة معه ولا صفوة وكل ذلك لشؤم الذنوب وترك التوبة
ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم انك مكبول وقد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني
من الامرين انما يلزمك التوبة لتقبل عنك عبادتك فان رب
الدين لا يقبل الهدية وذلك لان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم
فرض لازم وعامة العبادات التي تقصدها نفل فكيف يقبل
منك بر على والدين عليك حال لم تقضه فكيف تترك لاجله
الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف
تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان
فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله
المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها وما ينبغي
للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول اما التوبة
فانها سعي من مساعي القلب وهي عند التحصيل في قول العلماء
رضي الله عنهم تنزيه القلب عن الذنب قال شيخنا رحمه الله
في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا
صورة تعظيما لله وحذرا من سخطه ولها اذا اربع
شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن
قلبه ويجرد عزمه على ان لا يعود الى الذنب البتة

فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم
على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب
غير تائب عنه والثانية ان يتوب من ذنب قد سبق عنه
مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب عنه
الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم كان
متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق عنه
كفر بحال ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر
لما سبق عنه ذلك والثالثة ان الذي سبق يكون مثل
ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم
الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد
ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها
ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر
الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على تركه فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر
على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة
كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان
الاثم يتفاوت في كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصي
الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة
البدعة دون منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق

وسائر ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن أمثالها اليوم
في الصورة والرابعة أن يكون اختياره لذلك تعظيما
لله عز وجل وحذرا من سخطه وأليم عقابه مجردا لا لرغبة
دنيوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء أو صيت أو ضعف
في النفس أو فقر أو غير ذلك فهذه شرائط التوبة وأركانها
فإذا حصلت واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة وأما
مقدمات التوبة فثلاث أحدها ذكر غاية قبح الذنوب
والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى وأليم سخطه وعقابه الذي
لا طاقة لك به والثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك
فإن من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل
حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كأعناق
البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب
والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه وإذا
واظبت على هذه الأذكار وعاودتها آناء الليل وأطراف النهار
فإنها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق
بفضله فإن قيل أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم
توبة ولم يذكر مما ذكرتم من شرائطها وشددتم شيئا
اعلم أولا أن الندم غير مقدور للعبد ألا ترى أنه يقع الندامة
عن أمور في قلبه وهو يريد أن لا يكون ذلك والتوبة مقدورة

للعبد بأمور بهما ثم إنا قد علمنا أنه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك
جاهه بين الناس أو ماله في النفقة فيها فإن ذلك لا يكون توبة بلا ريب
فعلمت بذلك أن في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو أن الندم
لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فإن
ذلك من صفات التائبين وحالهم فإنه إذا ذكر الأذكار الثلاثة التي
هي مقدمات التوبة يندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنب
وتبقى الندامة في قلبه في المستقبل تحمله على الابتهال والتضرع فلما
كان ذلك من أسباب التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة فافهم
ذلك موفقا إن شاء الله فإن قلت كيف يمكن للإنسان أن يصير
بحيث أن لا يقع منه ذنب البتة من صغير أو كبير كيف وأنبياء
الذين هم أشرف خلق الله سبحانه قد اختلف أهل العلم هل نالوا هذه
الدرجة أم لا فاعلم أن هذا الأمر ممكن غير مستحيل والله يختص برحمته
من يشاء ثم من شرط التوبة أن لا يتعمد ذنبا فأما إن وقع منه سهو
أو خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه
الله تعالى فإن قلت إنما يمنعني من التوبة أني أعلم من نفسي أني أعود
إلى الذنب ولا أثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك فاعلم أن هذا من غرور الشيطان
فعسى أن تموت تائبا قبل أن تعود إلى الذنب وأما الخوف
من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الإتمام فإن أتم فذلك من فضله
وإن لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها

وتطهرت وليس عليك الا هذا الحديث الذي احدثته الآن وهذا هو
الربح العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة
فاملك من التوبة ابدا احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية
بمنه وفضله فهذه هذه واما الخروج عن الذنوب والتخلص منها
فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى
عليك من صلوة او صوم او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن لك
منها والثاني ذنوب بينك وبين الله كشرب الخمر وضرب المزامير
واكل الربوا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك
العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا
اشكل والامر فيه اصعب وهي اقسام قد تكون في المال وفي النفس
وفي العرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان في المال فيجب ان ترده
عليهم وتستحل منه فان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته
عنها فعل وان لم يمكن فعليك ب[illegible] الغائب والمال الى ورثة الميت ان علموا
والا تصدق عنهم فافعل فان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك
والرجوع الى الله تعالى بالتضرع والابتهال الى ان يرضيه عنك
يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او اوليائه
حتى يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله
تعالى والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما العرض
فان اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي

من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش
زيادة غيظ او هيج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك
فالرجوع الى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه
واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه للاستحلال
والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله تعالى ليرضيه
عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة والهيج
وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته
فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له
وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله تعالى جدا
والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء
الخصوم عملت وما لم يمكن راجعت الى الله تعالى بالتضرع والصدق
ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله تعالى يوم القيمة والرجاء بفضله
العظيم وامتنانه الجسيم انه اذا علم الصدق من قلب العبد
فانه يرضي خصماءه من خزائن فضله ولا حكم فاعلم لتزهن حقها
راشدا فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرات القلب
عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها وان حصلت
منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت وارضاء الخصوم
فالتبعات لازمة وسائر الذنوب سواها مغفورة ولهذا الباب
شرح يطول فلا تحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من كتب احياء علوم الدين

اولا ثم كتاب التوبة الى الله ثانيا وكتاب الغاية القصوى ثالثا تجد فوائد
كثيرة وشرحا شافيا والذي ذكرناه ههنا هو الاصل الذي لا بد منه
وبالله التوفيق فصل ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة
صعبة امرها مهم وضررها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحق
الاسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت
الله سبحانه ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت
سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الآن
فرايت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي اتتعجب من ذلك اتدري ماذا
تسال الله انما تسال الله ان يحبك اما سمعت قوله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الائمة واهتمامهم
ومواظبتهم على اصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم والى الضرر
المخوف فان اول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شوم وشقوة
فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا كان مبدأ امرهما ذنبا
وآخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الآبدين فعليك رحمك الله بالتيقظ
والجهد عسى ان تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك
من هذه الاوزار ولا تأمن قساوة القلب وتأمل حالك فلقد قال
بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد
القلب ان لا يجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا
ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن الذنوب فتحسب نفسك
تائبا

تائبا وانت مصر على الكبائر فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال
اذنبت ذنبا انا ابكي عليه منذ اربعين سنة قيل ما هو يا ابا عبد الله
قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حائط
جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فناقش نفسك
وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور
وتضرع الى الله وابتهل واذكر حال ابينا آدم صلى الله عليه وسلم
الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وحمله الى جنته على اعناق
الملائكة ثم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى انه روي ان الله تعالى
قال له يا آدم اي جار لنت لك قال نعم الجار يا رب قال اخرج يا آدم
من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى
انه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه
الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير
في ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر
المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نتيجة من يتوب فكيف ترى حال من
فان تبت ثم نقضت التوبة وعدت
الى الذنب ثانيا فجدد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت
قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة ولذلك ثانيا وثالثا ورابعا وكما
اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها
حرفة ولا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا تيئس ولا يمنعك الشيطان
ولا تأيس

من التوبة بسبب ذلك فانه يجد الله الخير لا تسئم قوله صلى الله عليه وسلم
خياركم كل مفتتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه
والرجوع الى الله تعالى بالندامة والاستغفار وتذكر قوله سبحانه
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
فهذه هذه وجملة الامر انك اذا ابتدأت فبرأت
قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود الى الذنب ابدا الا انه
لئن كان منك على وجه علم الله تعالى صدق عزمك من قلبك ثم ترضي
الخصوم بما امكنك وتقضي الفوائت بما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله تعالى
بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك
وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع وجهك على الارض في مكان خال
لا يراك فيها احد الا الله ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو
اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال
وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحيين يا نفس اما آن لك ان تتوبي الك
طاقة بعذاب الله الك حاجة بسخط الله وتذكر من هذا كثيرا وتبكي
ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الآبق رجع الى
بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف
عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف
من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا
رؤوف

رؤوف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين
يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا انت
المذخور لها يا مذخورا لكل شدة انت اذخرتك لهذه الساعة فتب
علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من البكاء والتذلل وقل يا من
لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل يا من لا يبرمه الحاح
الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك انك على كل شيء قدير
ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم تستغفر لجميع المؤمنين
والمؤمنات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة
نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك ويحبك الله
ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به
وصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت من عقبة المعاصي وبليتها
في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله تعالى
العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق ثم عليك يا طالب العبادة
وفقك الله بدفع العوائق حتى يستقيم عبادتك وقد ذكرنا ان العوائق
اربعة احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا
الزهد فيها لتستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك
بالطلب واما باطنك بالارادة والحرص والرغبة وحديث النفس
وكلاهما يمنع عن العبادة فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل
بشيء انقطع عن ضده فان مثل الدنيا والآخرة كمثل الضرتين ان ارضيت احديهما

استخطت الأخرى وإنهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل إلى أحدهما
أعرضت عن الآخر أما شغلهما في الظاهر فيتعذر ويروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه
أنه قال حاولت بين العبادة والتجارة فلم تجتمعا فأقبلت على
العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه قال لو كانتا تجتمعتين
لأحد غيري لاجتمعتا لي لما أعطاني الله سبحانه وتعالى من القوة واللين
فإذا كان الأمر كذلك فاختر الباقية والسلام وأما شغلهما بالقلب
وهو الباطن لمكان الإرادة فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا
ما يبقى على ما لا يبقى فبان لك أنه إذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك
بإرادتها فلا تتسنى لك العبادة حقها وأما إذا زهدت فيها فتفرغت
بظاهرك وباطنك تتسنى لك العبادة بل تعاونك أعضاؤك
ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن العبد إذا زهد في الدنيا
استنار قلبه بالحكمة وتعاونت أعضاؤه في العبادة فهذه هذه
والثاني من الأمرين أنه يكثر قيمة عملك ويعظم شرفه وقدره
فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل صالح زاهد قلبه خير وأحب
إلى الله من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا فإذا كانت
العبادة تشرف وتكثر بذلك فحق لمن طلب العبادة أن يزهد في الدنيا
ويتجرد عنها فإن قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم
أن الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد مقدور للعبد وزهد
غير مقدور له فالذي هو مقدور ثلاثة أشياء ترك طلب المفقود من الدنيا

وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها وأما الذي هو غير مقدور
للعبد فهو برودة الشيء على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور
مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور فإذا أتى به العبد بأن لا يطلب
ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك بالقلب إرادتها
واختيارها لأجل الله أورثته تلك برودة الدنيا على قلبه لأجل الله
وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم أن أصعب
الأمور الثلاثة إنما هو ترك الإرادة بالقلب إذ كم تارك لها بظاهره
محب مريد لها بباطنه فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة
والشأن كله في هذه ألم تسمع إلى قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا علق الحكم بنفي الإرادة
دون الطلب والفعل للمراد وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
وقوله ومن أراد الآخرة وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها أما ترى الإشارة كلها
إلى الإرادة فافرضها إذن لكن العبد إذا واظب واستقام
على الأولين أعني الترك والتفريق فمأمول من فضل الله سبحانه
أن يوفقه لدفع هذه الإرادة والاختيار عن قلبه فإنه المتفضل الكريم
ثم الذي يبعث على الترك والتفريق ويهون عليك ذلك
ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد أكثر الناس القول في ذلك حتى منه
قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها

وخسة شركائها قال شيخ الإمام رحمه الله لكن نحن من هذا الرحمة
الرغبة لأن من شكا فراق شيء لحبه وصاله ومن ترك شيئاً لمكان
الشيء كان فيه اخذه إذا انفرد به فالقول البالغ فيه ما قاله شيخنا
رحمه الله لأن الدنيا عدوة الله وأنت محبه ومن احب احدا أبغض
عدوه وقال والدنيا في أصلها قبيحة جيفة ألا ترى تحرجها إلى القذر
والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب
وطليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون
فإن قيل فما حكم الزهد في الدنيا هو فرض أم نفل فاعلم
أن الزهد يقع عندنا في الحلال والحرام فهو في الحرام فرض
وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام بمستقيمي الطاعة
بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها إلا عند الضرورة
بمقدار دفع الضرر وأما الزهد في الحلال فإنما يكون منزلة الأبدال
يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منها إلا قدرا لا بد منه
والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال
فهذا معنى البرودة على القلب بأن تنقطع همته عنها
ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار
ولا إرادة فإن قلت كيف يمكن أن تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها
العجيبة المطلوبة عند الإنسان بمنزلة النار أو بمنزلة الجيفة
المستحيلة والبنية بتبنيتنا والطبع طبعنا فاعلم أن من رزق

التوفيق الخاص وعلم آفاتها وقدرها في أصلها فتصير عنده كذلك
وإنما يتعجب من هذا الذاهبون العميان عن عيوب الدنيا وآفاتها
المغترون بظاهرها وزينتها وسأضرب لك مثلا لذلك فاعلم
أن هذا يمثل بإنسان صنع خبيصا بشر أرطال من السكر وغيره
ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وأبصر ذلك رجل ولم يبصره آخر
ووضع الخبيص بين أيديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذي
أبصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله
أن يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل أصعب
لمكان ما يعلم من آفته ولا يغتر بظاهره المزخرف وزينته وأما الرجل
الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه فإنه اغتر بظاهره وزينته المزخرف
وحرص عليه ولم يصبر عنه ولهذا يتعجب من صاحب الزهد فيه
وربما يستفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع أهل البصيرة
المستقيمين والجهال الراغبين حلال الدنيا فإنه لم يطرح فيه السم فبزق فيه
أو امتخط ثم ضمخه وزينه فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل
يكون مستقذرا لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه إلا عند الضرورة
وشدة الحاجة إليه والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر
بظاهره حريص عليه معجب مكب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين
أهل البصيرة والاستقامة وأهل الرغبة والغفلة وإنما اختلف حال الرجلين
الرجلان مع تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لأحدهما

وجهل وخفاء كان للآخر فلو علم الراغب وأبصر ما علمه الزاهد
لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب
لكان راغبا مثله فعلمت بذلك أن هذا التمييز لمكان البصائر
دون الطبائع وهذا أصل مفيد وكلام بيّن سديد اعترف به
من عقل وأنصف والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله
فإن قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف
نزهد فيها فاعلم أن الزهد في الفضول مما لا نحتاج إليه في قيام
البنية فالمقصود القوام والقوة حتى نعبد الله سبحانه لا الأكل
والشرب والتلذذ والله تعالى إن شاء أقامها بشيء وسبب
وإن شاء أقامها بغير سبب كالملائكة ثم إن كان بشيء إن شاء فبشيء
حاصل عندك أو بطلبك وكسبك وإن شاء بشيء غيره يسببه
لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا الاحتياج
بحالة إلى طلب وإرادة فإن لم تقو على ذلك فطلبت وأردت
فابغ ما تريد للقوة على عبادة الله والقوة على طاعته
دون الشهوة واللذة فإنك إذا نويت ذلك كان الطلب والإرادة
منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك
وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق

العائق الثاني الخلق

ثم عليك وفقنا الله وإياك لطاعته بالتفرد

عن الخلق وذلك لأمرين أحدهما أنهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل
على ما حكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيدا منهم فأردت أن أكلمه فقال لي ذكر الله أشهى إلي فقلت أنت وحدك
فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له فقلت
أين الطريق فأشار بيده إلى السماء وقام وتركني فالخلق إذا يشغلونك
عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك على
ما قال حاتم الأصم رحمة الله عليه طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء
فلم أجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت أعينوني
عليها إن لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني إن فعلت
فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها إذا فمنعوا فقلت لا تدعوني إذا إلى
طلب الدنيا ولا تعادوني عليها إن لم أتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت
بخاصة نفسي واعلم أيها الأخ في الدين أن نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم
وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت أهله وأمر فيه بالتفرد
وكان لا محالة أعلم بالمصالح وأنصح لنا منا لأنفسنا فإن وجدت
زمانك على ما وصف وبين فامتثل أمره واقبل نصيحته ولا تشك
في أنه كان أعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تتعلل بالعلل الكاذبة
ولا تخادع نفسك وإلا فأنت هالك ولا عذر لك والوصف الذي
ذكرناه ههنا هو الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال بينما
نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكروا الفتنة فقال عليه السلام

إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا
وشبك بين أصابعه فقلت ما أصنع يا رسول الله عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة وذكر في خبر آخر أنه عليه السلام
قال ذلك أيام الهرج قيل وما أيام الهرج قال حين لا يأمن الرجل
جليسه وذكر ابن مسعود في خبر له عن الحارث بن عميرة أنه قال الله إن بقي
عمرك فيأتي عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير
سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم وقال ومن ذلك قال
إذا أميتت الصلوة وقبلت الرشا وبيع الدين بعرض يسير
من الدنيا فالنجاء ويحك ثم النجاء قلت وجميع ما ذكر من هذه الأخبار
تراه بحسبك في زمانك وأهله فانظر لنفسك ثم إن السلف
الصالح أجمعوا على التحذير من زمانهم وأهله وآثروا العزلة
وأمروا بذلك وتواصوا بها ولا شك أنهم كانوا أبصر وأنصح وإن
الزمان لم يصر بعدهم خيرا إنما كان بل أشر وأمر وهو ما ذكر
عن يوسف بن أسباط أنه قال سمعت الثوري يقول والله الذي
لا إله إلا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت أنا ولئن
حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وعن سفيان
أيضا أنه كتب إلى عباد الخواص أما بعد فإنك في زمان كان
أصحاب محمد عليه السلام يتعوذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا

ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة
صبر وقلة أعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فإن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي
مثل هذا قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
أعمى أصم من الأركان ملتبس فيه لإبليس تصويب وتصعيد ولقد
وجدت عن سفيان بن عيينة أنه قال قلت للثوري أوصني قال أقلل
من معرفة الناس قلت يرحمك الله أليس قد جاء في الخبر أكثروا
من معرفة الناس فإن لكل مؤمن شفاعة قال لا أحسبك
رأيت قط ما تكره إلا ممن تعرفه قلت أجل ثم مات فرأيته
بعد موته في المنام فقلت يا أبا عبد الله أوصني قال أقلل
من معرفة الناس ما استطعت فإن التخلص منهم شديد وقد قال في معنى هذا
الخبر نظما وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي أفتش عن هذا
الورى وأكشف فما إن عرفت الناس إلا ذممتهم جزى الله
خيرا كل من لست أعرف قال الفضيل رحمه الله هذا زمان
احفظ لسانك ولتخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعن داود الطائي رحمه الله أنه قال لبعض أصحابه صم عن الدنيا
واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وعن أبي عبيد
أنه قال ما رأيت حكيما قط إلا إلى عقب كلامه أن تحب أن لا تعرف

فانت من الله تعالى على بال والاخبار في هذا الباب اكثر من ان يحمله
هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب اخلاق
الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب
وللعاقل اشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله واما
الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشان لان الناس
يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله بسبب
ما يعرض من قبلهم من دواعي الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ
قال رؤية الناس بساط الرياء وهولاء الزهاد قد خافوا على انفسهم
من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن
حيان قال لاويس القرني رضي الله عنه لما التقيا يا اويس صلنا
بالزيارة واللقاء فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء
على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل
لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه قال لان القى
شيطانا ماردا احب الي من لقائه فاستنكر ذلك من قوله فقال
اني اذا لقيته اخاف ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه
ولقد لقي شيخي الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعيا في اخر
حديثهما فقال الشيخ للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا له ارجى من مجلسي
هذا فقال له العارف لكنني ما جلست مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا
الست تعمد الى احسن حديثك وعلومك فتحدثني بها

وتظهرها بين يدي وانا لذلك فقد وقع الرياء فبكى شيخي الامام مليا
ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات

يا ويلتي من موقف ما به اخوف من ان يعدل الحاكم
ابارز الله بعصيانه وليس لي من دونه راحم
يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم

تعده حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال اهل
الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان
قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضر كبير فانهم
يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء
ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك شيء فلزمتك
العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله تعالى من شر هذا الزمان
واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم
العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها
والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان للناس في هذا الباب
رجلان رجل لا حاجة بالخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا
الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد
او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له من ذلك
والا فيعتزل شخصه ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب
هذا الرجل لن ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في امر من الامور البتة
من دين ودنيا وجماعة وجمعة او غيرها لما يرى له في ذلك

اي في الانقطاع بمرة

من مصلحته وفراغته فانه لا يسعه ذلك الا باحد الامرين اما ان يصير
الى موضع لا يلزمه هناك هذه الفروض كرؤس الجبال وبطون الاودية
ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع
البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه
من مخالطة الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له
عذر في ذلك ولقد رايت انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين
من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه
وسلامة حاله فحاورته في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره
ما اشرنا اليه وهو ان ما يحصل من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام
والتبعات في الخروج الى المسجد ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر
فلا عتب على المعذور والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات
الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس
في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك
فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج
الى موضع لا يتوجه اليه هذه الفروض جملة لان الطريق الثالث
ان يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر يراه
في ذلك من وزر او تبعة عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة
حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط فالاول اسلم واحفظ
والله ولي الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة

في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم لبيان حكم حق او رد
على مبتدع او دعوة الى خير لفعل او لقول او نحو ذلك فلا يسع
لهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا للخلق ابدا
ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا اذا
كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ذلك ايضا ولقد حكي ان الاستاذ
ابا بكر بن فورك رحمه الله قصد ان يتفرد بعبادة الله عن الخلق فبينما
هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله
على خلقه تركت عباد الله فرجع الى مكانه وكان هذا سبب رجوعه وصحبته للخلق
وذكر لي طاهر بن احمد رحمه الله عليه ان الاستاذ ابا اسحق رحمه الله
قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد عليه السلام
في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا انه
انا لا نقوى على صحبة الناس انما اعطاك الله تعالى قوة فيلزمك
ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي وكان له
مع غزارة علمه العمل الجم والنظر الدقيق في سلوك
طريق الآخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب
الدين يحتاج في صحبة الخلق الى شيئين احدهما صبر طويل
وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دائمة
والثاني ان يكون في هذا المعنى متفردا عنهم وان كان بالشخص

معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم
وان سكتوا عنه واعرضوا عنه استغنم ذلك منهم وان كانوا في حق
وخير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهاجرهم بلا رد عليهم
وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات
وقضاء الحاجات التي ترفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو
ذلك عنهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل ان اراد
قدر ويقبض عنهم في الاخذ ان اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر
ويجمل لهم بظاهره ويكتم حاجاته عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره
وباطنه ثم يحتاج مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة
انى الصنة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي
ولئن نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا
المعنى عرض لي ابيات من الشعر وهي

فان كنت في هدي الائمة راغبا • فوطن على ان يبتليك الوقائع
بنفس وفور عند كل لويمة • وقلب صبور وهو في الصدر كالع
لسانك مخزون وطرفك ملجم • وسرك مكتوم لدى الرب ذارع
وذكرك مغمور وبابك مغلق • وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وشوقك كامل • وفضلك مدفون وطعنك شائع
وفي كل يوم انت جارع غصة • من الدهر والاخوان والقلب طائع
نهارك شغل الناس من غير منة • وليلك شوق غاب عنه المطالع
فدونك هذا الليل خذ ذريعة • ليوم عبوس عز فيه الذرائع

لكن فالنفس معهم والقلب بالبعد عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد
وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك ولا تقتد بهم
ثم قال يا اسفا هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود
انه قال خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول
اذا ماج الفتن بعضها ببعض وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين
مدبرين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون علما ولا يرفعون مفيدا
ولا يعنيهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب الى الخاصة
فللعالم العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم ولا خلاف ان ما ذكرناه
هو هذا الزمان النكد الصعب وبالله المستعان وعليه التكلان فهذا
حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهمه فان الغلط فيه عظيم وضرره كثير
وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول عليكم
بالجماعة فان يد الله على الجماعة ولان الشيطان ذئب الانسان يأخذ الشاذة
والنادية والناحية والقاصية وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ
وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد ايضا الزم
بيتك وعليك بالخاصة والامر بالعزلة والتفرد في الزمان السوء ولا تناقض
في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه
فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة اوجه
احدها انه يعني في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة
فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما هو عليه جمهور الامة والشذوذ عنهم

باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك
في شيء والثاني قوله عليه السلام عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم
في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وكمال الاسلام وغيظ
الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات ونظر من الله بالرحمة
ولذلك نقول لا بد للمتفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة
في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الامور لما فيها
من ضروب الآفات والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف
في امر الدين واما الرجل القوي البصير في امر الله تعالى اذا راى زمان
الفتنة الذي حذر النبي عليه السلام الامة منه وامرهم بالعزلة فيه
فالعزلة اولى لما في الخلطة من الفساد والآفة ولا ينقطع من جموع
الاسلام والخيرات العامة وان اراد ان يتفرد عن الناس بمرة فليسكن
بشاهق جبل او بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قال ولا ارى
مثل هذا الرجل اينما كان الا ويمكنه الله من حضور الجماعات
والجمعات وسائر جموع الاسلام فيحضر لئلا يفوته الحظ منها
ايضا فان جموع الاسلام من الله بمكان وان تغير الناس
وفسدوا لقد سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام
اينما كانت ويسيرون من الارض حيث ما شاؤوا وان الارض لهم قدم واحد
وفي الاخبار ان الارض تطوى لهم وينادون بالتحيات ويتحفون
بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم ما ظفروا به من الله عز و

من يغفل عن النظر في خلاص نفسه واعيان الطالب الذي لم يصل الى المقصود
كامثالنا ولقد عرض لي في صفة حال ابيات من الشعر وهي نظم
~~ظفر الطالبون بالوصال وفازوا ... لاقى الاحباب بالاحباب~~
وبقينا مذبذبين حيارى بين حد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد وهذا نفس حال المحال لا الالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الهم وتهدي الى طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ويا منقذي من الاوصاب
ولنقبض عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان العزلة فقد
خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قد قال النبي عليه السلام لا
رهبانية لامتي الجلوس في المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم
ان ذلك في غير زمان الفتنة كما ذكرنا وايضا فانه يجلس في المسجد
ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم وفي المعنى
متفردا وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي نحن في شرحه
لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول
ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه كن وحيدا جامعا ومن تك ذا انس
من الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس علماء الآخرة ورباطات
الصوفية وسالكي طريق الآخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك الطريقة
المثلى في هذا الزمان الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها
جمعت المعنيين والفائدتين اللتين احبتهما العزلة عن الناس

والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة في امورهم والثانية
المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم وتكثير شعائر الاسلام فيحصل
السلامة التي هي للمتفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين مع ما
للناس فيهم من العدة والبركة والنصيحة فصار الكون فيها اعدل
طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان اقام الله العارفين
بين الناس لنفعهم لعباد الله في باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة
الخلق لادابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح
من لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر الدين للعلم والعبادة
والحكم واي فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين
الصحبة لهم ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم
الاول وسيرهم الموروثة عن سلفهم فهم لعمل اخوان في الله
واصحاب واعوان على عبادة الله فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما
مثلهم كمثل ما يسمع من عباد لبنان ونحوهم ان منهم جماعات يتعاونون
بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واما اذا تغيروا وتركوا
رسومهم واخلوا بطريقتهم الموروثة عن اسلافهم الصالحين فحكم
هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته
ويكف لسانه ويشاركهم في الخيرات ويجانبهم في سائر احوالهم وآفاتهم
فيكون هو في عزلة من اهل العزلة متفردا عن المتفردين فان قلت
فان اختار هذا المجتهد المرتاض

ان يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه ويجتنب
آفة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات
بمنزلة حصن يتحصن به المجتهدون عن القطاع والسراق وان
الخارج بمنزلة الصحراء تدور فيه فرسان الشياطين عسكرا فعسكرا
تسلبه او تستاسره فكيف حاله اذا خرج من الحصن الى الصحراء
وتمكن العدو منه من كل جانب يفعل به ما شاء فاذا ليس لهذا
الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذكي
لا يغلبه الاعداء واستوى عنده الحصن والصحراء فلا حرج عليه
ان خرج عنه لكن الكون في الحصن احوط على كل حال اذ لا يؤمن من
الغلبات والاتفاقات السوء واذا كان الامر بهذه الجملة المتابعة
فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة اولى للمرتاض
وطالب الخير بكل حال ولكن لا مانع للقوي البالغ مبلغ الاستقامة عن
التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتأملها تغنم وتسلم ان شاء الله
فان قيل ما تقول في زيارة الاخوان في الله وتواصل الاصحاب بالتلاقي
الله ففيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل لما فيها من ضروب
الفوائد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا تخرج في ذلك
الى الاكثار والافراط قال النبي عليه السلام لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا
تزدد حبا والثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين
وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود ذلك عليك وعلى اخيك الوبال

فلقد حكي ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا يوما فبكيا فقال سفيان
يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل
ما جلست مجلسا اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال
الست تعمد الى احسن حديثك فتحدثني به وانا اعمد الى احسن
ما عندي فحدثتك به فتزينت لي وتزينت لك فبكى سفيان عند ذلك
فيجب ان يكون مجالستك الاخوان وملاقاتهم على مقدار قصد
واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حينئذ في عزلتك وتفردك
عن الناس ولا يعود عليك وعلى احوالك بضرر وآفة بل بخير كثير
ونفع عظيم فان قلت فما يعينني على العزلة عن الناس والتفرد وبالله الموفق
ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون عليك ذلك ثلاثة
امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان العبادة شغلا
وانما الاستئناس بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت نفسك
تتطلع الى ملاقاة الناس وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم
ان ذلك فضول ساقه الفراغ والبطالة ولقد احسن من قال
في هذا المعنى ان الفراغ الى سلامة قادني ولربما على الفضول
فاذا اعطيت العبادة حقها وجدت حلاوة المناجاة
واستانست بكتاب الله سبحانه واشتغلت عن الناس واستوحشت
عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع
عن المناجاة يستوحش عن الناس كان يجعل اصبعيه في اذنيه

لئلا يسمع

لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في ذلك الوقت كاصوات الحمير
وعليك بما قاله شيخنا رحمه الله حيث يقول اتخذ الله صاحبا
ودر الناس جانبا صادق الود شاهد كتب فيه وعاينا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا والثاني قطع الطمع
عنهم بمرة فيهون عليك امرهم لان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره
فوجوده وعدمه سواء والثالث تبصر آفاتهم وتذكر ذلك
وتكريره على قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا الزمتها طردتك
عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته وحببته اليك
والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة العائق الثالث الشيطان ثم عليك يا اخي
بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احداهما انه عدو
لا مطمع فيه لمصالحة وابقاء عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا
فلا وجه اذن للامن من قبل هذا العدو والغفلة عنه وتامل
آيتين من كتاب الله سبحانه احداهما قوله جل وعلا الم اعهد اليكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية
قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير
والتحريض وغايته والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك ومنتصب
ابدا لمحاربتك فهو آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه
وانت غافل عنه فكيف يكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي
انك في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله بقولك وفعلك وهذا
ضد صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته فصرت كانك قمت

كالمبتدعة والمتمردين وسطر التساقط الشيطان ومكايده ومناقضته فهو أيضاً
يشدّ وسطه لمعاديك ومقاتلتك وبما يدل حتى يفسد عليك شأنك
بل حتى يهلكك رأساً إذ لا يأمن من محاربتك بعد فإنه الذي يسعى ويقصد
بالهلاك إلى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار
وأهل الضلالة وأهل الرغبة في بعض الأحوال فكيف قصده لمن قام
لمغايظته وتجرد لمناقضته فلئن إذا مع سائر الناس عداوة عامة
ومعك أيها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة وإن أمرك له
لمهم ومعه عليك أعوان أشدها عليك نفسك وهواك وله أسباب
ومداخل وأبواب أنت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازي
حيث قال الشيطان فارغ وأنت مشغول والشيطان يراك وأنت
لا تراه وأنت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون
فإذا لا بد من محاربته وقهره وإلا فلا تأمن الفساد والهلاك فإن قلت
فبأي شيء أحارب الشيطان وبأي شيء أقهره وأدفعه فاعلم أن
لأهل هذه الصناعة في هذه المسألة طريقين أحدهما ما قال بعضهم
إن التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله تعالى لا غير فإن الشيطان
كلب سلطه الله عليك فإن اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت
وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك فالرجوع
إلى رب الكلب ليصرفه عنك أولى والثاني ما قال آخرون إن
الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة

والذي عندي أن الطريق العدل الجامع في أمره أن تجمع بين
الطريقين فتستعيذ بالله أولاً وشره كما أمرنا وهو الكافي شره
ثم إن رأيناه يتغلب علينا علمنا أنه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق
مجاهدتنا وقوتنا في أمر الله وصبرنا كما أنه يسلط علينا
الكفار مع قدرته على كفاية أمرهم وشرهم كما قال الله تعالى ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ليكون لنا حظ من الجهاد
والصبر والتمحيص والشهادة كما قال الله تعالى وليعلم الله
الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء وقال تعالى أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك هذا
ثم إن محاربته وقهره فيما قاله علماؤنا رضي الله عنهم في ثلاثة
أحدها أن تعرف وتتعلم مكايده وحيله فلا يتجاسر حينئذ
عليك كاللص إن علم أن صاحب الدار قد أحس به فر
والثاني أن تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فإنه
بمنزلة الكلب النابح إن أقبلت عليه ولع بك ولج وإن أعرضت عنه
سكت والثالث أن تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك
فلقد قال صلى الله عليه وسلم إن ذكر الله تعالى في جنب الشيطان
كالأكلة في جنب ابن آدم فإن قلت فكيف نعلم مكايده
وكيف الطريق إلى معرفة ذلك فاعلم أن له وساوس بمنزلة
السهام التي يرميها وذلك أنها إنما تتبين لك بمعرفة الخواطر وأقسامها

والثاني وذلك ان له حبلا بمنزلة الشبكات التي ينصبها وذلك يتبين
بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم
ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا
هذا لا يحتمل الاكثار لكنا نذكر ان شاء الله من كل واحد منها اصلا
كافيا اذا اعتصمت به نجوت فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى
وكل بقلب ابن آدم ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم ودعوته
الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له
الوسواس ودعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس
لا يدعو الا الى الشر في قول اكثر علمائنا رحمهم الله وقد حكي عن
شيخنا رحمه الله ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك
الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او يدعوه
الى خير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب
او غيره فهذان داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع
قلبه يحتج بذلك على ما روي في الاخبار انه اذا ولد لبني آدم مولود
قرن الله سبحانه وتعالى به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فالشيطان
جاثم على اذن قلب ابن آدم الايسر والملك جاثم على اذن
قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال النبي عليه السلام للشيطان لمة
بابن آدم وللملك لمة يعني نزلة بالدعوة من قولهم ألم بالمكان
وألم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في بنية الانسان طبيعة

مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن او قبيح
فذلك هوى النفس القائدة الى الآفات فهذه ثلاثة دعاة ثم اعلم
بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه
على الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها
من خطرات الريح وكونها وحدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة
من الله سبحانه لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله سبحانه في القلب
ابتدا فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له
هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه
فيقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له
الوسوسة وتنسب اليه ويقال بانها خواطر الشيطان وان كانت في الحقيقة
حادثة عند دعوته فهو كالسبب في ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه
اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي
من قبل الله تعالى ابتدا قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون
بشر امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم
لا يكون الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي
من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون
بالخير مكرا واستدراجا والذي يكون من قبل هوى النفس يكون
بالشر وبما لا خير فيه تمنيا وتعسفا ولقد وجدت عن بعض السلف
ان هوى النفس ايضا قد يدعو الى خير والمقصود منه شر

كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك محتاج الى معرفة ثلثة
فصول لابد لك منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق بين خاطر
خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي بماذا يفرق بينهما فان لكل واحد
منها دفعا من نوع آخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي
او شيطاني او هوائي لتتبع ما يكون من الله تعالى او من الملهم وتجتنب
ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي على قول من يقول به فاما
الفصل الاول قال علماؤنا رضي الله عنهم اذا اردت ان تعرف خاطر
الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة
يبين لك حالهما الاول ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان
وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو
شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء
فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد اتباعا
لغير الصالحين فهو شر وان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه
على النفس والهوى فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة
طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما
تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله تعالى
وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها
الى الخير فباحد هذه الموازين اذا انظرت وامعنت النظر يستبين
لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه جواد

واما الفصل الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل
الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى ابتلاء فانظر فيه
من ثلثة اوجه احدها ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو
من الله تعالى او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم
انه من الشيطان وكان بعض العارفين رحمه الله يقول مثل هوى النفس
مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقهر بالغ وقهر ظاهر او مثل الخارجي
الذي يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان
مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب آخر وثانيها
ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال شيخي الامام رحمه الله هكذا يؤدي الذنوب الى قسوة القلب
اولها خاطر ثم تؤدي الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر
مبتدأ لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا
في الاكثر لانه يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال والثالث
ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله سبحانه وتعالى ولا يزول فهو
من الهوى وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان
كما ذكر في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس ان الشيطان
جاثم على قلب ابن آدم اذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل
وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير

خاطر يكون من الله سبحانه وتعالى أو من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة أوجه
أحدها فإن كان قويا مصمما فهو من الله تعالى وإن كان مترددا فهو من الملك
إذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك
كل نصح رجاء إجابتك ورغبتك في الخير والثاني إن كان عقيب
اجتهادك وطاعتك فهو من الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى
وإن كان مبتدأ فهو من الملك في الأغلب والثالث إن كان في الأصول
والأعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وتعالى وإن كان في الفروع
والأعمال الظاهرة فهو من الملك في الأكثر إذ الملك لا سبيل له
إلى معرفة باطن العبد في قول الأكثرين وأما خاطر الخير الذي
يكون من قبل الشيطان استدراجا إلى شر يزين عليه فلقد قال
شيخنا رحمه الله انظر إن وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي
خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع
أمن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم أنه
من الشيطان فاجتنبه وإن وجدت نفسك على ضد ذلك
لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن ومع
بصارة للعاقبة لا مع عمى فاعلم أنه من الله أو من الملك قلت
إنما كان النشاط خفة في الإنسان للفعل من غير بصيرة
وذكر ثواب ينشطه في ذلك ولا التأني محمود إلا في مواضع

مذمومة مكروهة وذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان
إلا في خمسة تزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب
وتجهيز الميت إذا مات وقرى الضيف إذا نزل والتوبة من الذنب
إذا أذنب وأما الخوف فيحتمل لن يكون في إتمامه وأدائه على وجهه
وحقه وقبول الله تعالى إياه وأما بصارة العاقبة بأن تتبصر وتتيقن
أنه رشد وخير يحصل لك به الثواب في العقبى ورجاؤه فاعلم ذلك
موفقا إن شاء الله تعالى فهذه الفصول الثلاثة التي لا بد لك من معرفتها في فصل
الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما استطعت فإنها من العلوم اللطيفة
والأسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق بفضله وأما فصل
الحيل والخداعات من الشيطان فيجيء ذكره ومثاله أن مكايد
الشيطان مع ابن آدم في الطاعة من سبعة أوجه أحدها
أن ينهى عنها فإن عصمه الله تعالى ورده بأن قال إني لمحتاج إلى ذلك
جدا إذ لا بد من التزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم
يأمره بالتسويف فإن عصمه الله تعالى ورده بأن قال ليس أجلي
بيدي على أني إن سوفت عمل اليوم إلى غد فعمل الغد متى
أعمله فإن لكل يوم عملا ثم يأمره بالعجلة فيقول له عجل عجل
لتتفرغ لكذا وكذا فإن عصمه الله تعالى ورده بأن قال قليل العمل
مع التمام خير من كثير مع النقصان ثم يأمره بإتمام العمل
لمراءاة الناس فإن عصمه الله تعالى ورده بأن قال ما الذي أعمل

وجه خامس

بهم آفاته الناس افلا يكفيني رؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه في العجب
فيقول يا اعقلك وايقظك فان عصمه الله تعالى بورده بان قال
المنة لله تعالى في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قدرا
بفضله فلولا فضله فاذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعمة الله تعالى
علي وجنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يتيقظ
عليه الا المستيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان الله تعالى
سيظهره لك وعليك ويلبس كل عامل عمله وهو اراد بذلك ضربا
من الريا فان عصمه الله تعالى بورده بان قال يا ملعون الى الآن
كنت تاتيني من وجه افساد عملي والآن تاتيني من خلاصه لتفسده
انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا
وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه ما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهره
فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا
العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا
لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى بورده بان قال انما انا عبد
وعلى العبد امتثال الامر لعبوديته والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء
ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت
اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه ايضا كيلا الوم
نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني
على اني ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها

وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعات
بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة
ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعد الله الصادق وبهذا المعنى
اخبر الله تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ
رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الافعال والاحوال واستعن
بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العائق الرابع النفس

ثم عليك عصمك الله واياي بالحذر
من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها
اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك
لامرين احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان من داخل البيت عزت الحيلة
فيه وعظم الضرر منه ولقد صدق القائل نفسي الى ما ضرني داعي
تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي واحتراسي من عدوي اذا
كان عدوي بين اضلاعي والثاني انها عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه
لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح
ولا يكاد يطلع على عيب لها وهي في عداوتها واضرارها فما اوشك ان توقعه
في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى بفضله ويعين
عليها برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك
اذا نظرت وجدت اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة

ذنب وآفة وقع في خلق الله من أول الخلق إلى يوم القيمة من قبل هذه
النفس إما بها وحدها أو بمعونتها ومشاركتها ومساعدتها فأول المعصية
لله تعالى من إبليس وكان سببه بعد القضاء السابق هو النفس بكبرها
وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين ألف سنة فيما قيل في بحر الضلال
تغرق إلى أبد الآبدين إذ لم يكن هنالك دنيا ولا خلق ولا شيطان بل كانت
النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت ثم ذنب آدم وحوا عليهما السلام
طرحتهما شهوة النفس في ذلك وحرصها على البقاء والحيوة حتى اغترا
بقول إبليس لعنه الله فكان ذلك إذ لا بعون النفس وشرهها حتى سقطا بذلك
وأخرجا إلى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة ولقي أولاده
ما لقوا من ذلك اليوم إلى أبد الآبدين ثم حديث قابيل وهابيل كان
في أمرهما الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان السبب
الشهوة ثم هلم جرا إلى يوم القيمة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة
ولا ضلالا ولا معصية إلا وأصلها النفس وهواها وإلا كان الخلق في سلامة
وخير وإذا كان عدو بهذا الضرر كله فحق للعاقل أن يهتم بأمره
والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فإن قلت فما الحيلة
إذا لنا في هذا العدو وما التدبير في أمره فبين لنا ذلك فاعلم أنا
ذكرنا فيما تقدم أن أمرها عسير صعب إذ لا يمكن قهرها بمرة كسائر
الأعداء إذ هي المطية والآلة كما قيل إن أعرابيا دعا لإنسان بخير
فقال كبت الله كل عدو لك إلا نفسك ولا يمكن إهلاكها بمرة لمكان

ضررها فتحتاج إلى طريق بين الطريقين تربية وتقوية بقدر ما تحتمل
فعل خير وتضعيفها وتحبيسها على حد لا تتأذى فأنت من أمرها
في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا أن أمرها أن تلجمها
بلجام التقوى والورع لتحصل الفائدتين جميعا فإن قيل
إن هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام
فما الحيلة فيها حتى تمكننا منها فاعلم أنك لصادق والحيلة
تذليلها حتى تنقاد للجام قال علماؤنا رضي الله عنهم إنما تذلل النفس
وتكسر هواها بثلاثة أشياء أحدها منع الشهوات فإن الدابة الحرون تلين
إذا نقص من علفها والثاني حمل أثقال العبادات عليها فإن الحمار
إذا زيد في حمله مع النقصان من علفه تذلل وانقاد والثالث
الاستعانة بالله والتضرع إليه بأن يعينك وإلا فلا مخلص لك ألم تسمع
قول يوسف عليه السلام إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي فإذا
واظبت على هذه الأمور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح بإذن الله
فحينئذ تبادر إلى أن تملكها وتلجمها وتأمن من شرها فإن قلت فبين
الآن ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم أولا أن التقوى كنز عزيز فلئن
ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق
كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكأن خيرات الدنيا
والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي
التقوى وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها

من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك من جملتها اولها المدحة والثنا قوله تعالى
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة من الاعدا
قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التاييد
والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا وقال ان الله مع المتقين والرابع
النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس غفران الذنب قال الله تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين والثامن
القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاكرام والاعزاز قال الله
ان اكرمكم عند الله اتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين
امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والحادي عشر
النجاة من النار قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقال سيجنبها الاتقى والثاني عشر الخلود
في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذا كل خير وسعادة في الدارين
تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يخص به
هذا الشان من امر العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق والتاييد اولا وهو
للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام
التقصير وهو للمتقين كما قال تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل
وهو للمتقين قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه
الامور الثلثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول

اذا تم وهذه الثلثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسالون فيقولون
ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك كله على التقوى
والكريم بها المتقي سأله ام لم يسأل فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله سبحانه
بل ان اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل

شعر

من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح ومن عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
ما ضر ذا الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي

وكتب على بعض القبور

ادن حتى تسمعي واسمعي مني وعي انا ذا هين مضجعي فانظري كيف تصنعي
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي

ثم تامل اصلا واحدا وهو هيبتك
قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت كما بدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس
الشان كله في القبول ولقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين
فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما اعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقوى
وعن قتادة انه قال مكتوب في التورية يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت
وبلغني عن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة
ثم ياتي الى فراشه فيقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين ويبكي
فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل نكتة
اخرى وهي اصل الاصول وهو ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه
اوصني بوصية فقال اوصيك بوصية الله تعالى رب العالمين للاولين والاخرين

قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قلت
اما اليس لله سبحانه وتعالى اعلم بصلاح العبد من كل احد اوليس هو
انصح له وارحم له وارفق من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح
للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر
واولى بالحال وانجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله سبحانه
امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما اوصى
بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر
عليها فعلمت انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقصد دونها
وانه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب
وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته
وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة
الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا
اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى وعمل
بذلك فاستغنى والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله فان قلت لقد
عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها
فلا بد الآن من تفصيلها فاعلم ان الامر لذلك فحق لها ان يجل قدرها
ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير
وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد
شديد فاذا كان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالحاجة هذه

في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لفعل كبير وشان
عظيم فان المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤونات
والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولكن الله هو الرؤوف الرحيم
الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم جدا بيان هذه الخصلة
حتى تعلمها ثم تتشمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعلم ما تعلم فان الشان
كله في ذلك والله تعالى ولي الهداية والتوفيق لنا ولكم معاشر
الاخوان بمنه وفضله فنقول اعلم اولا ان التقوى في قول شيوخنا هي
تبرئة القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل للعبد من قوة
العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا رحمه الله
وذلك اصل لفظة التقوى فان التقوى في اللغة من الوقوى بالواو
وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو
كما هو في الوكلان والتكلان ونحوها فقيل تقوى فاذا لما حصلت
وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه
على ذلك فيوصف حينئذ بانه متقي ويقال لذلك التبرئة والعزم
والتوطين تقوى والتقوى في القرآن تطلق على ثلاثة اشياء احدها
بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله تعالى والثاني بمعنى الطاعة والعبادة يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضي الله عنه اطيعوا الله
حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى

فلا يكفر والثالث بمعنى تبرئة القلب عن الذنوب وطهارته هي الحقيقة في التقوى
دون الأولين ألا ترى أن الله تعالى جل وعلا يقول ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى
فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تبرئة
القلب على ما ذكرناه ثم قال رحمه الله منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك
وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها سبحانه في آية
واحدة وهي قوله جل من قائل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا
وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا فالتقوى الأولى تقوى عن الشرك والإيمان في مقابلته
التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والإيمان الذي ذكر معها إقرار السنة
والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية والإقرار في هذه المنزلة
قابلها بالإحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فيكون منزلة
استقامة الطاعة قال فجمعت ذكر المنازل الثلاث منزلة الإيمان
ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى
التقوى قلت إنا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال
وهو ما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما سمي المتقون
متقين لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس فأحببت أن أجمع بين
ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي عليه السلام فيكون حدا جامعا لمعنى
بالغا فأقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك ألا ترى

أنه يقال للمريض المحتمي إنه يتقي إذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام
أو شراب أو فاكهة أو غيرها ثم الذي يخاف وهو الضرر في أمر الدين
قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لأن الاشتغال بفضول الحلال
والانهماك فيه يستجر صاحبه إلى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره
النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن أراد أن يأمن الضرر
في أمر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرا أن يجره
إلى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه وسلم لتركهم ما لا بأس به
حذرا عما به بأس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام
فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين وهو
المعصية والفضول هذا تفصيلها وأما إذا أردنا تحديدها على
موضوع علم السر فنقول حد التقوى الجامع تبرئة القلب عن شر
لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك
وبين كل شر ثم اعلم أن الشر ضربان شر أصلي ومنهي عنه كالمعاصي
المحضة وشر غير أصلي ومنهي عنه تأديبا وهو فضول الحلال
كالمباحات المأخوذة بالشهوات فالأولى تقوى فرض يلزم بتركها
عذاب النار والثانية تقوى خير وأدب يلزم بتركها الحبس والحساب
والتعيير واللوم فمن اتقى الأولى فهو في الدرجة الأدنى من التقوى وهي
منزلة استقامة الطاعة ومن أتى بالأخرى فهو في الدرجة الأعلى من التقوى
وذلك منزلة استقامة المباح وإذا اجتمع للعبد بينهما على اجتناب كل معصية
وفضول

فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع
الكامل الذي هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله
سبحانه فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقا ان شاء الله
فان قلت فصل لنا الآن هذا المعنى في النفس واستعماله فيها فان
الحاجة جاءت هنا لك لتعلم كيف تلجم هذه النفس بهذا المعنى
الذي فصلت من حقيقة التقوى فاقول انما تفصيله ان تهتم بامر هذه النفس
لتقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل
فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله في عينك واذنك
ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها بلجام
التقوى ولهذا الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في كتاب احياء
علوم الدين ولكن الذي لا بد منه هاهنا ان نقول من اراد ان يتقي الله
تعالى فليراع الاعضاء الخمسة فانها الاصول وهي العين والاذن
واللسان والقلب والبطن فيحترس عليها بالصيانة لها من كل ما يخاف منه
ضررا في امر الدين من معصية وحرام وفضول واسراف من حلال
فاذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكفي سائر اركانه ويكون
قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة
فصول لهذه الاعضاء وتفصيل ما يجب في حق كل واحد منها على قدر
ما يليق بهذا الكتاب **الفصل الاول في العين** عليك وفقك
الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل فتنة وآفة واذكر في امرها

ثلثة اصول كافية احدها ما قال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم اني
تاملت هذه الآية فاذا فيها مع قصرها ثلثة معان عزيزة تاديب وتنبيه
وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ولا بد للعبد من امتثال امر السيد والتادب بادبه والا فيكون
سيء الادب فيحجب ولا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة
فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها واما التنبيه
فقوله تعالى ذلك ازكى لهم وقد يطلق على معنيين والله اعلم احدها
اي ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير والثاني
ذلك انمى لخيرهم والزكاة في الاصل النمو فنبه على ان في غض
البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك
ان لم تغض بصرك وارخيت عنانها تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلو
من ان تقع عينك على حرام فان تعمدت فذنب كبيرة وربما
تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فلقد روي ان العبد
لينظر النظرة ينغل قلبه بها كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع
به ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك به فتجول الوسواس والخواطر بسببه
ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان
كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى
ذكر عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب

الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون رحمه الله نعم حاجب الشهوات
غض الأبصار ولقد أحسن القائل
وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر
فإذا ما كنت غاض البصر حافظا للعين لا تنظر إلى ما لا يعنيك ولا يهمك
كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس
عن آفات مترادفا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل
الموفق بمنه والثاني التهديد بقوله تعالى إن الله خبير بما يصنعون وقال تعالى
يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تهديدا لمن خاف
مقام ربه فهذا أصل واحد من كتاب الله عز وجل والأصل الثاني ما روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النظرة إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام
إبليس فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسره ولن وجد أن حلاوة
العبادة ولذة المناجاة من العابدين بمكان وهذا شيء مجرب علمه
وتحققه من عمل به أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد للعبادة
حلاوة وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك والأصل الثالث
أن تنظر إلى كل عضو من أعضائك يصلح لماذا وينتظر له ماذا فافعل
حسب ذلك لصفوته وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها
واليد لكأس الشراب وتناول الأثمار وكذلك في سائر الأعضاء فالعين
إنما هي للنظر إلى رب العالمين وليس في الدارين كرامة أجل وأكبر من ذلك

تحقيق لشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة أن يصان ويحفظ ويعتق
ويكرم فهذه الأصول الثلاثة إذا أحسنت التأمل فيها كفتك المؤنة في هذا
الفصل والله ولي التوفيق

الفصل الثاني

الأذن فعليك بصيانة
سمعك عن الخنا والفضول وذلك لأمرين أحدهما ما روي أن المستمع
شريك المتكلم وفي ذلك يقول القائل تحر من الطرق أوساطها
وعد عن الجانب المشتبه وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله فانتبه
والثاني أن ذلك يهيج الخاطر والوسواس في القلب ثم من ذلك
تبدو الاشتغال في البدن فما يبقى للعبادة شيء ثم اعلم أن الكلام
الذي يقع في قلب الإنسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه
فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل إن بقاء الكلام
وجرحه أكبر وأبلغ فإن الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره
وربما يبقى أثره زمانا ثم يزول فله دواء يزيل أثره من جسم الإنسان
وأما الكلام الذي وقع في قلب الإنسان ربما يبقى معه جميع عمره
ولا ينساه فإن كان شيئا رديئا فلا يزال يتعبه ويعنيه ويبقى ويبعد
بسببه خواطر القلب ووساوس تحتاج أن يعرض عنها ويعدل بقلبه
عن تذكرها ويستعيذ بالله من شرها ولا يقدر أن يحمله على بلية
ويحمله حتى يقع أمر الآخرة في آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت
سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه المؤنة مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق

الفصل الثالث اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وتقييده فإنه أشد الأعضاء جماحا وطغيانا وأكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان ابن عبد الله أنه قال قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال ما أجد نفسي تحتمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة وأتحمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك إذا بالتحفظ جدا وبذل المجهود وتذكر خمسة أصول أحدها ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن ابن آدم إذا أصبح تكفر الأعضاء كلها للسان وتقول له نشدك الله أن تستقيم فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه والله أعلم أن نطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان يؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار أنه قال إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم أنك قد تكلمت بما لا يعنيك **والأصل الثاني** حفظ وقتك فإن أكثر ما يتكلم به الإنسان من غير ذكر الله تعالى فعلى الأقل يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر أن حسان بن أبي سنان مر على غرفة بنيت فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه وقال يا نفس الغرور تسألين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة فيا طوبى للمهتمين بأنفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وأرخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل وأحسن حيث يقول

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل ... إذا كنت خاليا مستريحا

وإذا ما هممت باللغو في الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحا

فالتزام السكوت أولى من النطق ... وإن كنت بالكلام فصيحا

والأصل الثالث حفظ الأعمال الصالحة فإن من لم يصن لسانه وأكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل إن مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا وغربا يمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن أنه قيل له يا أبا سعيد إن فلانا اغتابك فبعث إليه طبقا فيه رطب وقال بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فأحببت أن أكافيك وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت أمي لأنها أحق بحسناتي وذكر أنه فاتت حاتم الأصم ليلة القيام فعيرته زوجته فقال لها إن أقواما صلوا بالليل البارحة فلما أصبحوا نالوا مني فيكون صلواتهم يوم القيامة في ميزاني **والأصل الرابع** السلامة من آفات الدنيا على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك وقال الآخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شأنك وقيل

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

فإذا أحسست ملامة من منطق ... فاحبس لسانك في اللهاة وأطرق

احفظ لسانك إن اللسان ... سريع إلى المرء في قتله

وإن اللسان دليل الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني **والأصل الخامس** ذكر آفات الآخرة وعاقبتها وأذكر فيه نكتة واحدة وهي أنه لا تخلو إما أن تقول قولا محظورا

حراما أو قولا مباحا ففضول لا يعنيك فإن كان محظورا ففيه عذاب الله الذي
لا طاقة لك به فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسري
بي نظرت في النار قوما يأكلون الجيف قلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين
يأكلون لحوم الناس ولقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب
العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن أبي قلابة أن الغيبة
خراب القلب من الهدى فنسأل الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا الكلام
في المحظور وأما المباح ففيه أربعة أمور أحدها شغل الكرام الكاتبين
بما لا خير فيه ولا فائدة وحق لك أن تستحيي منهما فلا تؤذيهما قال الله سبحانه
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والثاني إرسال كتاب إلى الله سبحانه
من اللغو واللهو فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل وذكر أن بعضهم
نظر إلى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا إنما تملي كتابا إلى ربك فانظر ماذا
تملي والثالث قراءته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة على رؤوس الأشهاد
بين الشدائد والأهوال عطشان عريان جوعان منقطعا عن الجنة محبوسا
عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لم ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء
من رب العزة وقد قيل إياك والفضول فإن حسابه يطول وكفى بهذه
الأصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب أسرار معاملات
الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء

الفصل الرابع القلب

ثم عليك بحفظ القلب وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود
فإنه أعظم هذه الأعضاء خطرا وأكبرها أثرا وأدقها أمرا وأشقها إصلاحا

واذكر

وأذكر فيه خمسة أصول مقنعة **الأول** قوله تعالى يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور وقوله يعلم ما في قلوبكم وقوله إنه عليم بذات الصدور
كم ذلك وكرر ذلك في القرآن فكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا
وتهديدا للمخلص من العباد أن المعاملة مع علام الغيوب خطيرة
فانظر ماذا يعلم من قلبك **الأصل الثاني** قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم إنما ينظر إلى قلوبكم فالقلب
إذا موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر
الخلق فيغسله وينظفه من الأقذار والأدناس ويزينه بما أمكنه
لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع
نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كي لا يطلع الرب
جل ذكره على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضائح
وأقذار وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرؤوا منه
وطردوه **الأصل الثالث** القلب ملك مطاع ورئيس متبع والأعضاء
كلها له تبع وإذا صلح المتبوع صلح التبع وإذا استقام الملك
استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن النبي عليه السلام إن في الجسد
مضغة إن صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد الجسد ألا وهي
القلب وإذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية إليه
الأصل الرابع أن القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس
وكل معنى خطير أولها العقل وأجلها معرفة الله عز وجل التي هي سبب

سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله عز وجل ثم
النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الأبد ثم أنواع العلوم
والحكم التي هي شرف العبد وسائر الأخلاق الشريفة والخصال الجميلة التي
بها تفاضل الرجال على ما فصلناه وشرحناه في كتاب أسرار معاملات
الدين وحق لمثل هذه الخزانة أن تحفظ وتصان عن الأدناس والآفات
وتحرس وتحرز من السراق والقطاع وتكرم وتبجل بضروب الكرامات
لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها عدو والعياذ بالله
والأصل الخامس إني تأملت أحوال القلب فوجدت له خمسة
أحوال ليست لغيره من أعضاء ابن آدم أحدها أن العدو قاصد إليه
مقبل عليه ملازم له فإن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فهو منزل
الإلهام والوسوسة يتنازعانه أبدا بالدعوتين الملك والشيطان
والثاني أنه مشغول له الكثير فإن الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك
العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو أبدا بين تجاذبهما
ولقائهما وتناقضهما وحقيق بالنفس الثغر أن يحرس ويحصن ولا يغفل والثالث
أن العوارض له أكثر فإن الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر
لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا أنت تقدر على منعها فتمتنع
وليس بمنزلة العين التي هي بين جفنين تغمض وتستريح أو تكون في موضع
خال أو في ليل مظلم فتكفيك رؤيتها أو اللسان الذي هو وراء الحاجزين
بين الأسنان والشفتين وأنت قادر على منعه وتسكينه بل القلب

غرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي تنقطع عنك
بوقت ثم النفس مسارعة إلى اتباعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة
أمر شديد ومحنة عظيمة والرابع أن علاجه عليك عسير إذ هو
غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتحدث له حالة فتحتاج
إلى أن تبحث عن ذلك أتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة
الرياضة والخامس أن الآفات إليه أسرع فهو بالانقلاب أقرب
فلقد قيل إن القلب أسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك
قيل ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يصرف بالإنسان أطوارا ثم إن
زل القلب والعياذ بالله فذنبه عظيم ووقوعه أصعب وأفظع لأداه
قسوة وميل إلى غير الله سبحانه ومنتهاه ختم وتكبر والعياذ بالله ألا تسمع
إذ استكبر وكان من الكافرين وكان الكبر بقلبه فحمله على الإباء والكفر بظاهره
ألا تسمع قوله تعالى ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فكان الميل واتباع
الهوى بقلبه فحمله ذلك على الذنب المشؤوم بنفسه ألا تسمع قوله تعالى
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون ولهذا المعنى أيها الرجل خاف عباد الله الخواص على قلوبهم
وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم إليها قال الله تعالى في وصفهم يخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار جعلنا الله وإياكم من المعتبرين
بالعبر المهتمين لمواضع الخطر الموفقين لإصلاحها بحسن النظر إنه
أرحم الراحمين فإن قيل إن أمر هذا القلب لمهم جدا

فأخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الآفات التي تعترضه فتفسده عسى أن نوفق
للاجتهاد في العمل بذلك يقال لهم اعلم أن تفصيل هذه المعاني ليطول
لا يحتمله هذا الكتاب ولسنا على الأجر عنونا باستخراج ذلك وتصنيفه
في هذه النكتة لا غير وقد ذكرنا فيما يحتاج إليه من ذلك نحو أربعين خصلة
محمودة وفي أضدادها المذمومة من الأفعال والمباعي الواجبة والمحظورة
ونحو ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري إن فيه لمن أهمه أمر دينه وانتبه
من رقدة الغافلين فينظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل
عليه كثيرا إذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذا منها في شرح عجائب
القلب من كتاب إحياء علوم الدين أتينا على شرح جميعها
بتفاصيلها وكيفية علاجها في كتاب أسرار معاملات الدين
وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به إلا فحول العلماء
الراسخين في علم الآخرة وموضوع هذا الكتاب لأن ينتفع به المبتدي
والقوي والضعيف فنظرنا في الأصول التي لا بد من ذكرها في صلاح
القلب والتي الحاجة إليها ماسة ولا غنية عنها البتة في شأن العبادة
فوجدناها أربعة أمور هي مداحض العابدين وآفات المجتهدين
وهي فتن القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد وتتلف
والأربعة في مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة وإصلاح
القلوب فالآفات الأربع الأمل والاستعجال والحسد والكبر
والمناقب الأربع قصر الأمل والتأني في الأمور والنصيحة للخلق والتواضع

والخشوع فهذه هي الأصول في صلاح القلوب وفسادها والنكت التي
عليها المدار فلتبذل المجهود في التحرز من هذه الآفات والتحصيل
لهذه المناقب تكف المؤنة وتظفر بالمقصود إن شاء الله وسأخبرك
عن هذه الآفات بكلمات وجيزة مقنعة أما طول الأمل فإنه العائق
عن كل خير وطاعة والجالب لكل شر وفتنة وإنه الداء العضال الذي
يوقع الخلق في أنواع البليات فاعلم أنك إذا طال أملك هاج لك
أربعة أشياء أحدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف أفعل
والأيام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمه الله
حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله
وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الأمل قاطع من كل خير والطمع
مانع من كل حق والصبر صائر إلى كل ظفر والنفس داعية إلى كل
شر والثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف أتوب
وفي الأيام سعة وأنا شاب وسني قليل والتوبة بين يدي وأنا قادر
عليها متى رمتها وربما اغتاله الحمام على الإصرار وتختطفه
الأجل قبل إصلاح العمل والثالث الحرص على الجمع
والاشتغال بالدنيا عن الآخرة تقول أخاف الفقر في الكبر وربما
أضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء فاضل أدخره لمرض
أو هرم أو فقر هذا ونحوه يحرك إلى الرغبة في الدنيا والحرص عليها
والاهتمام للرزق تقول إيش آكل وإيش ألبس وهذا الشتاء

وهذا الضعيف وبأي شيء ولعل العمر يطول فأحتاج وأنا محتاج مع الشيب
شديداً بذل من قوت وغنية عن الناس من هذه وأمثالها تحمل إلى طلب
الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عنده منها وأقل في الباب
شغل يشغل قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة
ولا طائل على ما روي عن أبي ذر رحمه الله أنه قال قتلني هم يوم لم أدركه
قيل وكيف ذلك يا أبا ذر قال إن أملي جاوز أجلي والرابع
القسوة في القلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أملت العيش الطويل
لا تذكر الموت والقبر كما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوف
ما أخاف عليكم اثنان طول الأمل واتباع الهوى ألا وإن طول
الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فإذا يصير
فكرك ومعظم فكرك في حديث الدنيا وأسباب العيش في صحبة
الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وإنما رقة القلب وصفوته
بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال الآخرة وإذا لم
تكن من ذلك فمن أين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال
عليهم الأمد فقست قلوبهم فإذاً إنك إذا طولت أملك قلت
طاعتك وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسى
قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله إن لم يرحم الله
آخرتك فأي حال أسوأ من هذه وأي آفة أعظم من هذه وكل هذا
بسبب طول الأمل وإن أنت قصرت أملك وقربت من نفسك موتك

وتذكر

وتذكرت حال أقرانك وإخوانك الذين غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوا
ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفس المغرورة واذكري ما قال عون بن عبد الله
كم من مستقبل يوماً لم يستكمله ومنتظر غداً لم يدركه لو رأيتم الأجل ومسيره
لأبغضتم الأمل وغروره أو ما سمعت قول عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا
ثلاثة أيام أمس مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري أتدركه أم لا ويوم أنت فيه
فاغتنمه ثم قول أبي ذر رحمه الله الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة
أنت فيها وساعة لا تدري أتدركها أم لا فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة إذ
الموت من ساعة إلى ساعة ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلاثة أنفاس نفس مضى
عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري أتدركه أم لا إذ كم من متنفس نفساً فجاءه
الموت قبل النفس الأخرى فلست تملك إلا نفساً واحداً لا يوماً ولا ساعة
فبادر في هذا النفس الواحد إلى الطاعة قبل أن يفوت وإلى التوبة فلعلك
في النفس الثاني تموت ولا تهتم يا نفس بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاجي إليه
فيكون وقتك ضائعاً والهم فضلاً وما عسى أن يهتم الإنسان بالرزق ليوم واحد
أو ساعة واحدة أو نفس واحد أما تذكرين يا نفس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لأسامة ألا تعجبون من أسامة المشتري بشهرين إن أسامة لطويل
الأمل والله ما وضعت قدماً فظننت أني أرفعها ولا لقمة فظننت أني أسيغها
حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم
بمعجزين فإذاً أنت أيها الرجل تذكرت هذه الأذكار وواظبت
على ذلك بالإعادة والتكرار قصر أملك بإذن الله تعالى وحينئذ

ترى نفسك تبادر إلى الطاعات وتعجل توبتك وتسقط عنك معصيتك وتزهد
في الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتعجل ويقع قلبك في تذكر الآخرة وأهوالها
وما بعد الأمر تنكس إلى نفس تصبو إليهما وتجاذبهما والحد أعدهما فيزول
عنك القسوة وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف
من الله والخشية فيستقيم أمر عبادتك ويقوى الرجاء لن تسعد
في عاقبتك وتظفر بالمراد من أمرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى
بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الأمل ولقد حكي أن زرارة بن أبي أوفى
رحمه الله قيل له في النوم بعد موته أي الأعمال أبلغ فيما عندكم
قال الرضا وقصر الأمل فانظر لنفسك أيها الأخ وابذل المجهود
في هذا الأصل الكبير فإنه الأهم والأعظم في صلاح القلب والنفس والله
تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله ورحمته وأما الحسد
فإنه المفسد للطاعات الباعث على الخطيئات وإنه الداء الذي يبتلى به
الكثير من القراء والعلماء فضلا عن العامة والجهال حتى أهلكهم وأوردهم
النار ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار
بستة العرب بالعصبية والأمراء بالجور والدهاقين بالكبر
والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد وإن
بلية بلغ شؤمها إلى أن أوردت العلماء النار لحقيق أن يجتنب رعيتها
واعلم أن الحسد يهيج خمسة أشياء أحدها إفساد الطاعات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل

النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور على ما قال وهب بن منبه رحمه الله
للحاسد ثلث علامات يتملق إذا شاهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة
إذا نزلت قلت أو حسبك أن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة من شر الحاسد فقال
ومن شر حاسد إذا حسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر
فانظر كم له من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر ولا مستعان
عليه ولا مستعاذ إلا بالله والثالث التعب والهم من غير فائدة بل مع كل
وزر ومعصية كما قال ابن السماك لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد
تعب دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم
حكما من أحكام الله عز وجل فلقد قال سفيان عليك بطول الصمت تملك
الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من ألسن
الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد
يظفر بمراد وينصر على عدو كما قال الحاتم الطاعن غير ذي دين والعائب
غير ذي عابد والنمام غير ذي مأمون والحسود غير منصور قلت
الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى عن المسلمين
وكيف ينصر على أعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد أحسن أبو يعقوب
فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن أحوالهم وأن الحسد
داء يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة
النفس وفهم القلب والنصرة على الأعداء والظفر بالمطلوب فأي
داء يكون أدوأ منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولي التوفيق

وبالله التوفيق وأما الاستعجال والتأني فإنه الخصلة المفوتة للمقاصد
الموقعة في المعاطب ولذلك منها بدو آفات أربع إحداها أن يقصد
العابد منزلة في الخير والاستقامة ويجتهد فربما يستعجل نيلها
وليس يدرك بوقتها فإما أن يفتر وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك
المنزلة وإما أن يغلو في الاجتهاد وإتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة
فهو بين إفراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن
النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه
برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفي المثل
السائر لم تستعجل تصل ولعلك
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
والثانية أن يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعاء
ويجد فربما يستعجل الإجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر
ويسأم فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة
أن يظلمه إنسان فيغيظه فيستعجل الدعاء عليه فيهلك مسلم
بسببه وربما يتجاوز الحد فيقع في معصية وهذا قال الله تعالى
ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا والرابعة
أن أصل العبادة والملاك بها الورع والورع أصله النظر البالغ في كل شيء
والفحص الكامل عن كل شيء هو بصدده من أكل وشرب ولبس
وكلام وفعل فإذا كان الرجل مستعجلا في الأمور وغير متأن

المتثبت متبين لم يقع منه توقف ونظر في الأمور كما يجب ويبادر
إلى كل كلام فيتقحم في الزلل وإلى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة
وكذلك كل أمر فيكون تاركا للورع وإذا فاته الورع فاتته العبادة بلا ورع وإذا كان
في خصلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك
المسلمين وهلاك كثير خطر فوق الورع الذي هو رأس المال فحق
للإنسان أن يهتم لها بالإزالة وإصلاح النفس بعدها والله ولي
التوفيق بمنه وفضله وأما الكبر فإنه الخصلة المهلكة رأسا
ألم تسمع قوله تعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه
الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في الأعمال وتفريع
إنما تقص بالأصل وتقدح في الدين والاعتقاد إذا قويت وغلبت
أعاذنا الله وإياكم والعياذ بالله ثم أقل ما يحصل منها على صاحبها
أربع آفات إحداها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة آيات الله
وفهم أحكام الله قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الأرض بغير الحق وقال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار والثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله تعالى
إنه لا يحب المستكبرين ويروى أن موسى عليه السلام قال يا رب أي
خلقك أبغض إليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفقت عينه
وبخلت يده وساء خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا
وقال حاتم رحمه الله لا تجتنب الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء

فإن المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل أهله
وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه إلى كسرة
أو شربة والحسد ساعا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى
يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق أورثه الله ذلا
بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي أن الله تعالى
يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد
منهما أدخلته نار جهنم والمعنى أن العظمة والكبرياء من الصفات
التي تختص بي ولا ينبغي لأحد غيري كما أن رداء الإنسان وإزاره
يختص به لا يشارك فيه وإن خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم
آيات الله تعالى وأحكامه التي هو أصل الأمر كله ثم يثمر
ذلك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الآخرة لا ينبغي
للعاقل أن يغفل عن نفسه فلا يصلحها بإزالتها بالحذر والحرز
فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال الأربع
الأربع من الآفات وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل إذا
اهتم لأمر قلبه وحامى عن دينه والله الموفق فإن قلت
فإذا كان الأمر بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال ولزوم التحفظ
منها فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيف
الطريق إلى التحفظ عنها فاعلم أن في كل واحدة منها كلاما كثيرا وقد
أشبعنا القول في كتابي الإحياء والأسرار ونحن نذكر ههنا ما لا بد من ذكره

ولا يقع الغناء عنه فنقول وبالله التوفيق إن الأمل قال أكثر علمائنا رحمهم الله
إنه إرادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الأمل ترك الحكم والقطع
فيه بأن تقيد بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وعلمه في القطع والذكر أو بشرط
الصلاح في الإرادة فإذا أنت ذكرت حياتك بأني أعيش بعد
نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فأنت آمل
وذلك مثل معصية إذ هو حكم على الغيب فإن قيدته بالمشيئة والعلم
من الله فتقول أعيش إن شاء الله أو إن علم الله أن أعيش فقد خرجت عن حكم
الأمل ووصفت بقصر الأمل وكذلك لو أردت حياتك للوقت الثاني
قطعا فأنت آمل فإن قيدت إرادتك بشرط الصلاح خرجت
عن حكم الأمل ووصفت بقصر الأمل من حيث تركت الحكم فيه
فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وإرادته والمراد بالذكر ذكر القلب
ثم المراد به التوطين على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهم ذلك
وأشد الأشياء إنه عز وجل ثم الأمل أملان أمل العامة وأمل الخاصة
فأمل العامة أن تريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه
معصية محضة وضدها قصر الأمل قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل
فسوف يعلمون وأمل الخاصة أن تريد البقاء لإتمام عمل خير فيه
خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فإنه ربما لا يكون
لعبد فيه أو في إتمامه صلاح بأن يقع بسببه في آفة لا يقوم بها هذا
الخير فإن إبليس للعبد إذا ابتدأ في صلوة أو صوم أو غيره أن الحكم

بأنه يتمه لذ هو غيب ولا أن يقصد ذلك قطعاً لأنه ربما لا يكون له
فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء أو شرط الصلاح ليخلص من عيب
الأمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غداً إلا أن يشاء الله وضد هذا الأمل فيما قال العلماء التنبه
وإنما قالوا ذلك على ضرب من الاتساع لأن الناوي بالنية المحمودة
يكون ممتنعاً من الأمل فهذا حكم الأمل والنية المحمودة إذ قد مست
الحاجة إلى معرفتها مع أنها من الأصول الأصلية قال رحمه الله في حدها
في الجامع التام إن النية الصحيحة المحمودة إرادة أخذ عمل مبتدأ به
قبل سائر الأعمال بالحكم مع إرادة إتمامه بالتفويض أو الاستثناء
فإن قيل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض أو الاستثناء
في الإتمام يقال له لفقد الخطر في الابتداء إذ هو في حال الابتداء
ليس بشيء متراخ عنك ولثبوت الخطر في الإتمام إذ هو يقع
في وقت متراخ ففيه الخطران خطر الوصول لا تدري هل تصل
إلى ذلك أم لا وخطر الفساد لا تدري هل في ذلك الصلاح أم لا
فإذا أوجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد
فإذا حصلت الإرادة على هذه الشروط تكون حينئذ
نية محمودة مخرجة عن حد الأمل وآفته فتأمل جداً فإن هذه
فلعلك تحصن قصر الأمل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجأة
الموت والأخذ على غرة وغفلة بغتة وهو في غرور وفتون فاحتفظ

بهذه الجملة وحصّلها موفقاً فإن الحاجة إليها ماسة ودع عنك
تضييع الوقت في القيل والقال وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله
الحسد وآلة الحسد فهو إرادة زوال نعمة الله تعالى عن أخيك
المسلم مما له فيه صلاح فإن لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد
إلا في اثنين الخبر أي لا غبطة إلا في ذلك فعبّر عن الغبطة بالحسد
اتساعاً لمقاربتهما فإن لم يكن له فيها صلاح فأردت زوالها عنه
فذلك غيرة فهذا الفرق بين هذه الخصال وأما ضد الحسد فالنصيحة
وهي إرادة بقاء نعمة الله تعالى على أخيك المسلم مما له فيها صلاح فإن قيل
كيف نعلم أن له فيها صلاحاً أو فساداً لننصحه أو نحسده
فاعلم أنه قد يقوم لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن مما يجري
مجرى العلم في هذه المواضع ثم إن اشتبه عليك فلا ترد زوال
نعمة أحد من المسلمين أو بقاءها إلا مقيداً بالتفويض وشرط الصلاح
لتخلص من حكم الحسد وتحصل لك فائدة النصيحة وإن حصن
النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر ما أوجب الله تعالى من موالاة
المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما عظّم الله تعالى من حق المؤمنين
ورفع من قدرهم وما لهم عند الله من الكرامات العظيمة في العقبى
وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر
والجماعات والجمعات ثم ما ترجو من شفاعته في الآخرة

فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك أن تحسده في
نعمة أعطاه الله تعالى إياها والله سبحانه ولي التوفيق ~~وأما العجلة~~
وأما العجلة فإنها المعنى الراتب في القلب الباعث على الإقدام
على الأمر بأول خاطر دون التوقف فيه والاستقصاء في الرأي لأجل الروية
والاستطلاع منه بل الاستعجال في اتباعه والعمل به وضدها
الأناة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الأمور
والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها وأما التوقف فضده
التعسف قال شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف والتأني أن التوقف
قبل الدخول في الأمر حتى يستبين له رشده والتأني بعد الدخول
فيه حتى يؤدي لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الأناة ذكر وجوه الخطر
في الأمور التي تعترض الإنسان وضروب الآفات المخوفة فيها
وذكر ما في النظر والتثبت والتأني من السلامة وما في التعسف والاستعجال
من الندامة والملامة هذه وأمثالها مما يبعث على التأني والتوقف
في الأمور ويمنع من الاستعجال والتعسف والله تعالى ولي العصمة
برحمته وأما الكبر فاعلم أنه خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر
واتباعه والتواضع خاطر في وضع النفس وانقيادها والتواضع
واتباعه ولكل واحد منهما عام وخاص فالتواضع العام هو التقنع
بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك
والتواضع الخاص هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان

وضيعا أو شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية
لبيبة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العام أن تذكر مبدأك
ومنتهاك وما أنت عليه في الحال من ضروب الآفات والأقذار كما قال
بعضهم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما حامل
عذرة وحصن التواضع الخاص أن تذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي
في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر

الفصل الخامس

في البطن وحفظه ثم عليك بحفظ البطن وإصلاحه فإنه أشق الأعضاء
إصلاحا على المجتهد والزهاد مؤنة وشغلا وأعظمها ضررا وأثرا
لأنه المنبع والمعدن ومنه تهيج العلل في الأعضاء من قوة وضعف
وعفة وجماح ونحو فعليك أولا بصيانته عن الحرام والشبهة أولا ثم
عن فضول الحلال ثانيا لتكون للهمة في عبادة الله تعالى وأما الحرام
والشبهة فإنما يلزمك البحث عنه لثلاثة أمور أحدها الحذر من نار جهنم
قال الله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت
فالنار أولى به والثاني أن آكل الحرام والشبهة مطرود عن الوقوف
للعبادة إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى إلا كل طاهر مطهر قلت أما
أليس الله تعالى منع الجنب عن الدخول في بيته والمحدث عن مس
كتابه مع قوله ولا جنبا إلا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه
إلا المطهرون مع أن الجنابة والحدث أثر مباح فكيف بمن هو

منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة متى يدعى إلى خدمة الله تعالى
العزيزة وذكره الشريف كلا فلا يكون ذلك وقال يحيى بن معاذ الرازي
رحمه الله الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانه
الحلال وإذا لم يكن للمفتاح أسنان فما ينفتح الباب وإذا لم ينفتح
باب الخزانة كيف تصل إلى ما فيها من الطاعة والثاني أن آكل الحرام
والشبهة محروم وإن اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول
منه فإذا لم يكون له من ذلك إلا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء وكم من صائم ليس له من صيامه
إلا الجوع والظمأ وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلوة
امرء في جوفه حرام فهذه هذه وأما فضول الحلال فإنه آفة العباد
وبلية أهل الاجتهاد وإن تأملت فوجدت فيه عشر آفات هن
أصول في هذا الشأن الأولى أن في كثرة الأكل قسوة القلب وذهاب
نوره روي عن النبي عليه السلام أنه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء ولقد
شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلي
والبخار يرتفع إليه فكثرة البخار تكدره وتسوده الثانية أن في كثرة
الأكل فتنة الأعضاء وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد
فإن الرجل إذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام
أو فضول والأذن الاستماع إليه واللسان التكلم والفرج الشهوة

وللرجل المشي إليه وإذا كان جائعا فيكون الأعضاء كلها ساكنة هادية
لا تطمح إلى شيء منها ولا تنبسط إلى أحد ولقد قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله
إن البطن عضو إن جاع هو شبع سائر الأعضاء يعني سكن فلا يطالبك
بشيء وإن شبع هو جاع سائر الأعضاء وجملة الأمر أن سائر أفعال الرجل
وأقواله على حسب طعامه وشرابه إن دخل الحرام خرج الحرام وإن
دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر الأفعال والأفعال
تنبت منه والثالثة أن في كثرة الأكل قلة الفهم والعلم
فإن البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الداراني رحمه الله حيث قال إذا
أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل
يغير العقل وهذا أمر ظاهر علمه لمن اختبره والرابعة
أن في كثرة الأكل قلة العبادة لأن الرجل إذا أكثر الأكل ثقل بدنه
وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وإن اجتهد إلا النوم فيكون
كالجيفة الملقاة ولقد قيل إذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا
ولقد ذكر عن يحيى عليه السلام أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال
له يحيى ما هذه المعاليق قال الشهوات التي أصيب بها بني آدم
قال هل تجد لي فيها شيئا قال لا إلا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك
عن الصلوة فقال يحيى عليه السلام لله علي أن لا أشبع بعدها أبدا
فقال إبليس عليه اللعنة إني لا أنصح أحدا أبدا فهذه فيمن لم يشبع
في عمره إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة
وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة

والخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي
وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي وهذه صفة المكاشفين
وكان رضي الله عنه مكاشفا واليه اشار صلى الله عليه وسلم ما فضلكم
ابو بكر بفضل صوم او صلوة وانما هو لشيء وقر في نفسه قال الداراني
رحمه الله عليه احلى ما تكون العبادة اذا التزق بطني بظهري
والسادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام
ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا جزافا والسابعة
ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا وبتهيئته ثانيا ثم باكله
ثالثا ثم بالفراغ والتخلص عنه رابعا ثم بالسلامة منه خامسا
بان يتولد منه آفة في البدن من آفات وعلل ولقد قال صلى الله عليه وسلم
اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني
الحمية وعن مالك بن دينار انه كان يقول يا معشر الفقراء تلفت الى
الخلا حتى استحييت من ربي ليت ان الله جعل رزقي في حصاة امصها
حتى اموت ثم في هذه الجملة طلب الدنيا والتطاول على الناس
وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل والثامن شدة
سكرات الموت وروي في الاخبار ان شدة سكرات
الموت على قدر لذات الحياة فمن اكثر من هذه اكثر من تلك والتاسعة
نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا الآية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا ينتقص لكم من لذات الآخرة

ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم قال له ولا انقص من آخرتك شيئا فابى فخصه بذلك
فدل على ان لغيره النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك ولقد روي
ان خالد بن الوليد اضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهيأ له
طعاما فقال عمر رضي الله عنه هذا لنا فما لفقراء المهاجرين الذين
ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين
قال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد باينونا
بونا مبينا وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه
رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء
باردا حلوا فامسك وقال اخره فقال الرجل والله طالما اتيته حلاوة
يا امير المؤمنين فقال عمر ذلك الذي منعني ولعل لولا الآخرة لشاركتكم
في عيشكم والعاشر الحبس والحساب واللوم والتعيير في
ترك الادب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها
حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفي
احدها كفاية لمن ينظر لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ
في القوت كي لا تقع في حرام او شبهة فلزم مع الحذر ثم بالاقتصاد من
الحلال على ما يكون عدة على عبادة الله تعالى فلا تقع في شر
وتبقى في الحبس والحساب والله ولي التوفيق فان قلت
فبين لنا اولا حكم الحرام والشبهة وحدهما فاقول لعمر الله تعالى

لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات الدين وذكرناه في كتاب مفرد
في كتب الاحياء ولكنا نشير الى كلمات معدودة بحيث تصل الى فهم الضعيف
المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادة
ويعين الكاتب قال بعض العلماء ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا
عنه في الشرع فهو حرام محض وان اذا لم يكن لك يقين بذلك ولكن يغلب
في ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال آخرون بل الحرام المحض ما يكون به
علم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري مجرى العلم في كثير من الاحكام
واما اذا تساوى الامران حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك
فذلك شبهة يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك
والتبس حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام لغير خبث واجب وعن الذي
هو شبهة تقوى وورع وهذا اولى القولين عندنا فان قيل
فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء
اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال آخرون
لا يحل ان يؤخذ ما لا يتحقق انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على
السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز وقال قوم ان
صلات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام
وانما التبعة على المعطي قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية
المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله سبحانه
وتعالى اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة

ايام الظلمة واخذوا منهم منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم
وقال آخرون لا يحل من اموالهم شيء لغني ولا فقير اذ هم موسومون
بالظلم والغالب من اموالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم
الاجتناب وقال آخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون
الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك عين الغصب فليس له ان ياخذه
الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من اموال السلاطين
لانها ان كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب
وان كانت من فيء او خراج او عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل
العلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من دخل في الاسلام طائعا وقرا
القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم وروي مائتا
دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الآخرة واذا كان
كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا
بمال مغصوب ولا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه
وذريته فلا مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به فكان الله
يامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او يأذن للفقير
في القبول وهو عليه حرام فاذا للفقير ان ياخذ الا عين الغصب
والحرام فليس له اخذه وهذه المسائل لا يمكن القول فيها
الا بالبسط والتحقيق واستيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من
الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين

تجده مشروحا مبيّنا ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في صلات اهل
السوق وغيرهم هل يلزم ردّها او البحث عنها وقد علمت تجازفهم
وقلة تحرّزهم في معاملاتهم فكذلك صلات الاخوان فالجواب انه
اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول
صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا
سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به ثم
اعلم بان الاصل في هذا الباب وهو انّ ههنا شيئين احدهما
حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع
ان تأخذ ما اتاك من ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان تستيقن
انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تأخذ شيئا من احد
حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه
لا شبهة فيه بحال والا فترد فلقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء تسألني
عنه ولم تسألني عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت قوما في الجاهلية
فاعطوني هذا فتقيأه ابو بكر وقال اللهم هذا مقدرتي فما بقي في العروق
فانت حسيبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان
لك نظر في الورع وحقه فهذه هذه فان قلت فكأن الورع يخالف
الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة والورع

موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق من عقد
التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد
لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز
يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فتفهما
مع تمييزهما واهتد الى الاصل فافهم ذلك راشدا فان قلت اذا جاز
البحث والاستقصاء عن كل شيء فيشتد علينا ما ناخذ في هذا
الزمان ويتعذر الامر جدا على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ
يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد
سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدائد والا فلا يتم له
ذلك فلهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقون الى جبل
لبنان وغيره فاقتصروا على اكل الحشيش وثمرات تافهة لا شبهة
فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحتمل
الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم وان
اراد المقام بين الناس واكل مما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة
الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار
ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره ان كان
في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن البصري
عن وهيب بن الورد انه كان يجوّع نفسه يوما ويومين وثلاثة ثم ياخذ رغيفا
ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف

ولا لم أكله اللهم لئن كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تواخذني ثم يأكل
الرغيف في الدنيا كله قلت فهذان الطريقان للطبقة العليا
من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم احتياط وبحث على
مقدارهم ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدارهم وبقدر ما تتعنى
تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلون
فان قيل هذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول
الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه
العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس والحساب
فاعلم ان احوال المباح في الجملة ثلاثة اقسام احدها ان ياخذ العبد
مفاخرا ومكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب
على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر
وشين ويستوجب على باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر
عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا
مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على
قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه
لا غير فذلك منه شيء يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب

والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدرا يستعين به
على عبادة الله ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب
عليه ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدح لقوله تعالى اولئك
لهم نصيب مما كسبوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وتعطفا على جاره وسعيا
على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما
قصد به المقصود المحمود لله سبحانه وتعالى فهذه فاعلمها فان قيل
فما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه
يحتاج كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثانية
القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث لو لم ياخذ
الوجد وتفسيره ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح هلك
او ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك
المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك
فهو حال العذر واما القصد فان يقصد به العدة والاستعانة
على عبادة الله سبحانه وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوسل
الى عبادة الله لما اخذت ذلك فهذا ذكر الحجة فاذا حصل ذكر
الحجة وحال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا الحلال خيرا
وحسنة وادبا اما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا
القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر

فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ
هذا الادب تحتاج الى بصيرة وقصد جميل بانه لا ياخذ من الدنيا
الا لعدة على عبادة الله حتى انه ان سها عن ذكر الحجة في حال
الاخذ كفاه ذلك القصد الجميل عن تجديد ذكر الحجة والنية رحمه الله
فصار الامور الثلثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني ان الذكر
والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا والقصد الجميل
المنفي عن بصيرة منزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه
فافهم ذلك راشدا فان قيل فلو اخذ الدنيا الحلال للشهوة
هل يكون ذلك معصية وهل يلزمه عليه عذاب وهل
الاخذ بالعذر فرض لعل لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميته
خيرا وحسنة والامر به امر تاديب والاخذ بالشهوة شر وسيئة
والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار
وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قلت
فاهذا الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب
ان يسال يوم القيمة عما ذا اكتسبت وفيما ذا انفقت ولما ذا
اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب بذلك
في عرصة القيمة بين اهوالها ومخاوفها عريانا عطشان وكفى
بذلك بلية والله حسبنا فان قيل ما داخل لنا هذا الحلال
والتعيير في اخذه لما ذا فاعلم ان اللوم والتعيير لتركه الادب
لمن اجلس على مائدة الملك

فترك الادب فانه يعتق بذلك وبلاء ولئن كان الطعام له مباحا والاصل
في هذا الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله من كل وجه
فحق للعبد ان يعبد الله من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها
عبادة من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك واثر شهوة نفسه
واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير تعذر والداد
دار خدمته وعبادته لا دار تنعم وشهوة استحق اللوم بذلك والتعيير
من سيده فتامل هذا الاصل راشدا ولا قوة الا بالله فهذه الجملة
التي اردنا بيانها في باب اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى
فارعها حقا واحتفظ بها جدا تفز بالخير الكثير في الدارين
ان شاء الله والله ولي التوفيق والعصمة بفضله فصل
نعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة
الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكثرها
افة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق
اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة
من كتب من كتاب الاسرار والاحياء والقربة الى الله تعالى ما يبعث على الاهتمام
بذلك ومقصود هذا الكتاب اني سالت الله تعالى ان يطلعني
على سر معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت
في هذا الكتاب الشريف على نكت مختصرة وجيزة اللفظ غزيرة المعنى
تقنع من تاملها وتدبرها وتهديه على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى

اذا هممت بمعصية او انبعثت لشهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى
ثم برسوله وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع السلف الصالح من عباده
وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تعطي
القياد ولا تترك الشهوة ثم ان منعتها لقمة برغيف تسكن
وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها
فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء
فكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال
له احمد بن ارقم البلخي رحمه الله انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو
فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه
تأمرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء
الناس فتتروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم
والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة
فاجابت فاسأت الظن بها وقلت الله تعالى اصدق فقلت لها
اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت وعدد اشياء
مما ارادها فاجابت الى كل ذلك بلى فقلت يا رب نبهني لها
فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول يا احمد انت
تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي وبخلافك
ولا يشعر بي احد فان قاتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك

ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون لي شرفا وذكرا فقعدت
ولم اخرج الى الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها
تراءي الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القائل
وهس
توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها
بكل حال نصب وتسلم ان شاء الله تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى
لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة
شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب
فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات
وهو التقوى ولان شطر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح
وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل
المبتدؤن من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد
بشطر الاكتساب كل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم
ونحو ذلك ويشتغل المنتهون واولوا البصائر من اهل العبادة
بشطر الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير
الله تعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم عن
النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد
السبعة ليونس عليه السلام يا يونس ان من الناس من حبب اليهم

الصلوة فلا يؤثرون عليها شيئاً وهي عمود العبادة بالثبات لله
والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم
فلا يؤثرون عليه شيئاً ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون
عليها شيئاً يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك
الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق
بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب
الاجتناب اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران
جميعاً الاكتساب والاجتناب فقد استكملت الامر وحصلت
على الكل ولقد سلمت وغنمت فان لم تبلغ الا الى احدهما
فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين
جميعاً وما ينفعك قيام ليل وتعبه ثم تحبط بارادة واحدة
وما يغنيك صيام نهار طويل وتفسد بكلمة واحدة فلقد روينا
عن ابن عباس انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر
والآخر قليل الخير قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئاً
ومثال ما قلناه حال المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان
نصف منه الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا بالمريض فكأنه
قد برأ وصح والاحتماء به اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء
ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها
والله اعلم انها تغني عن كل دواء ولذا يقال ان الهند جل معالجتها

الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيصح ويبرأ
بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى هي الامر وجوهره
واهلها هم الطبقة العلية العليا من العباد فعليك ببذل المجهود
في ذلك وصرف جل العناية اليه والله ولي التوفيق

فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي
الاصول الاول العين وحسبك فيها ان مدار امر الدين
والدنيا على القلب ولا خطر للقلب وشغله وفساده في الاكثر
من العين ولذلك قال علي رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس للقلب
عنده قيمة والثاني اللسان وحسبك ان فيه رأس محصولك وعين غنيمتك
وثمرة تعبك واجتهادك كله العبادة والطاعة وان خطر
العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع
والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة واحدة ما تتعب
فيه سنة بل خمساً او عشراً ولذلك قيل ما شيء احق بطول السجن
من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة قال ليونس عليه السلام
يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتقووا على
عبادتهم بشيء افضل من الصبر عن الكلام في فضول طويل
ثم عاد الى ذلك فقال ولا يكونن عندك شيء آثر من حفظ لسانك
ولا تكونن بشيء اغنى به من سلامة صدرك فتهذب هذا ثم اذكر
النفس الذي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله

فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فترتح راسك اذ قلت لا اله الا الله
فيكون لك من الاجر والذخر ما لا تحيط به وهمك او تقول اسأل الله
العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو
من بلية الدنيا والآخرة الا ان يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع
ان تفوت نفسك كل هذه الفوائد الكريمة وتجعل نفسك ووقتك
في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيامة ولقد
احسن القائل واذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت اولى من النطق وان كنت بالكلام فصيحا
والثالث البطن فحسبك ان مقصود كل العبادة وان الطعام بذر
العمل وماؤه منه يبدو وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع
بل فيه خطر ان يفسد عليك ان تحمل فلا تفلح ابدا ومن ذلك بلغنا
عن معروف الكرخي رحمه الله انه قال اذا صمت فانظر على اي شيء
تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فلم من اكل اكلة فينقلب
قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت
قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة
فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط
البالغ الشديد في قوتك ان كان لك عناية بقلبك وهمة في عبادة
ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من وجهه ثم عليك بالادب
فيه والا كنت حتما للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا

بل رأينا عيانا ان العبادة لا يجد منها شيء اذا امتلأ البطن وان
اكرهت النفس على ذلك وجاهدت بضرب الحبل فلا يكون لتلك
العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة
مع كثرة الاكل واي خير في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة
ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله عليه
صحبت اكثر رجال الله في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت
الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة
ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضاء الناس فلا ينتظر
رضاء الرب ومن يكثر الكلام بفضول وغيبة فلا يخرج من الدنيا
على دين الاسلام وعن سهل التستري رحمة الله عليه انه قال جماع
الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العارفين
الجوع راس مال لنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة
وحلاوة وعلم نافع فبسبب الجوع والصبر عليه لله تعالى ثم ذلك القلب
فحسبك انه اصل الكل ان افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح
الكل اذ هو الشجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة تشرب
الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وسائر الاعضاء تبع واركان فاذا
صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت الرعية فاذا صلاح العين
واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب وعمرانه واذا رأيت فيه

خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثمة بدا الفساد
فيه الكثير فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة فترى ثم
امره دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع
من اتباعها مجهود طاقتك فيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار
اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام بامره اكبر والكثر عند ذوي
البصائر وعن ابي يزيد رحمه الله عليه قال عالجت قلبي عشرا ولساني
عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة فهذه هذه ثم عليك
بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور
والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من بين سائر الخصال في
هذا الموضع وحضضنا على الاحتراس منها لانها على القراء
خاصة اذ هي تعتري سائر الناس عموما والقراء خصوصا فتكون افحش
واشنع ترى الرجل القاري يطول الامل ويعده بنية خير
فيوقعه في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في
تحصيل منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة دعا صالح فيحرم ذلك
او في الدعا على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلام
وتراه يحسد نظراءه على ما آتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ به ذلك
منه مبلغا يحمله على قبائح وفضائح لا يقدم عليها فاسق
ولا فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري ما اخاف على دمي الا القراء
والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما انا قلته انما قاله ابرهيم النخعي

وعن عطا قال قال لي الثوري احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت
اودهم لي في رمانة فاقول انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته
ان يسعى بدمي الى سلطان جائر وعن مالك بن دينار اني اقبل شهادة
القراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادتهم بعضهم على بعض لاني
وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر لي دارا بعيدة
من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت
علي نعمة حسدوني وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم
مصعر خده معبسا وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين
او كانما جاءه من الله تعالى منشور بالجنة والبراءة من النار او كانه
استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك
يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا لا يليق
بالترفع والتكبر ولا يلائمه بل ينافيه ولكن الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد
السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها
فقال له الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك
ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال
الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به
لاحدهم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا
المعنى اشار ذو النون رحمه الله حيث قال
تصوف فازدهى بالصوف جهلا * وبعض الناس يلبسه مجانه

يريك فهاهة ويريك كبرا ... وليس الكبر من شكل المهانا
تصوف كي يقال له امين ... وما معنى تصوفه الامانا
ولم يرد الاله به ولكن ... اراد به الطريق الى الخيانا

فاحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع لاسيما الكبر فان الثلاثة الاول من خص لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر من خص لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر والطغيان ولا تنس حديث ابليس وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله جل وعلا ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه الجواد الكريم

فصل

وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل علمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة والحساب الطويل في الاخرة هذه في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع النعم واللذة الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر العلي الكريم وعلمت ان الخلق لا فائدة لك فيهم ولا معونة فهم بحيث تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر مع صحبته ولا تندم على فرقته وان تمسكت بكتابه وملازمتك اياه فيكون الدليل لك وترى منه كل جميل وافضال وتجده عند كل نائبة في الدنيا والاخرة كما قال عليه السلام احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث قد تجرد

لمعاداتك

لمعاداتك فاستعذ بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكائده ومصائده فيظفر بذلك الله سبحانه ولا تخشاه بذلك فانه يسير اذا نظر بعين همة الرجال وانه كما قال الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما قال في الدنيا وفي ابليس اما الدنيا فما مضى فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها الا ان يبصرها ويهملها نظرت اليها رحمة لها نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الحال ولا يفطنون لغائلة الاذى ويتعززون من مرارة الدواء فالجمها بلجام التقوى كي تمنعها عن الجماح اليه بالحقيقة من فضول كلام ونظر وتلبس خصلة فاسد من طول امل او بخل او حسد مسلم او ثقلة في غير موضع اولى كل بحض شهوة وشره وتعطيها ما لا بد منه بتبقية ولا اتحاف منه ضرر اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله تعالى الامر على عباده برحمته واغناهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فلا حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى اهون من ان اذا رايت شيئا تركته فان النفس تتلين وتتعود ما عودتها وانه كما قال القائل

فالنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع

وقال غيره

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر ايام تجور وتعدل

وقال غيره

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان توقت تاقت والا تسلت

فان اطمعت نافت وان اتسلت فاذا علمت الذي وصفناه كنت من الزاهدين
الراغبين في الاخرة فاعلم ان من سمي باسم الزهد فلقد سمي بالف اسم ممدوح
وكنت من المتفردين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى الذين هم اهل
الانس خدام رب العالمين فتكون كما قال القائل

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق اغناهم

وكنت من المجاهدين
في الله الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين
وصرت حينئذ افضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة
تدعو الى قبيح ولا انفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة
الطويلة الشديدة وسبقت العوائق كلها الى مقصودك
ولا يهولنك فانه مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين سهل نسأل الله
وهو خير مسؤول ان يكملك وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره
انه الكافي لكل مهم والاستعانة به في كل معضل فبيده الخلق والامر
وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب والحول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكفاية العوارض الشاغلة
عن عبادة الله تعالى وسد سبلها عليك لئلا يشغلوك عن مقصودك
وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك

واما الكفاية في التوكل فعليك بالتوكل على الله سبحانه في موضع
الرزق والحاجة بكل حال للامرين احدهما لتتفرغ للعبادة ويمشي
لك من الخير حقه فان من لم يكن متوكلا فلا بد من اشتغاله عن عبادة
الله تعالى بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا
اما بطلب وكسب بالبدن لعامة الراغبين واما بدلو وارادة
ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المتعلقين والمتلهفين والعبادة
تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغة
لا يكون الا للمتوكلين بل اقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد
يطمئن قلبه الا بشيء معلوم لا يكاد يتم له امر خطير من دنيا وآخرة
ولهذا ما سمعت شيخي ابا محمد رحمه الله يقول انما الامور
يمشي في العالم لرجلين متوكل ومتهور قلت وهذا كلام جامع
ومعناه ان المتهور يقصد الامور على قوة عادته وجرأة قلب
لا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر يضعفه فتجري له الامور
والمتوكل يقصد الامور على قوة وبصيرة بكمال يقين بوعد الله سبحانه
وتمام ثقة بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه او شيطان يوسوسه
فيبلغون مقاصدهم ويظفرون بمطالبهم وكل الخلق الضعيف ابدا
يكون في تردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في قفصه يرقب ما تعوده من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك ولهذا
تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا

ولمن قصد فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك ألا ترى أصحاب الهمم
من أبناء الدنيا لما طلبوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة كيف قطعوا
قلوبهم عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم أما الملوك فيباشرون الحروب
ويكافحون الأعداء هكذا مدة حتى يحصل لهم مرتبة الملك
وعقد الولاية وقيل لمعاوية لما نظر إلى العسكرين يوم صفين
قال من أراد خطيرة أخاطر بعظيمة وأما التجار فيركبون المهالك
برا وبحرا ويطرحون أنفسهم وأموالهم في المقاطع شرقا وغربا
ويوطنون أنفسهم على أحد الأمرين إما فوت الأرواح وإما حصول
الأرباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم
وعلق نفيس وأما السوقي الذي ضعف قلبه ورضي منه أي لا يكاد
يقلع القلب عن علاقة من نفسه وماله فهو من بيته إلى دكانه
طول عمره لا يصل إلى مرتبة شريفة كالملوك ولا إلى ربح
عظيم كالتجار المخاطرين فإن نال في سوقه ربحا على بضاعته
درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشيء معلوم فهذا في الدنيا
وأبنائها وأما أبناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل
وقطع القلب عن العلائق لما أحكموها وحصلوها ووفوها
حقها تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق
والسياحة في الأرض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال
والشعاب فصاروا أقوياء العباد ورجال الله عز وجل رجال الدين

الدين وأحرار الناس وملوك الأرض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون
وينزلون حيث يشاؤون ويقصدون من الآفاق العظام علما وعبادة
ما يشاؤون لا عائق لهم ولا حاجز دونهم فكل الأماكن لهم واحد
وكل الأزمان عندهم واحد وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
من سره أن يكون أقوى الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس
فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص لو أن رجلا
توكل على الله بصدق النية لاحتاج إليه الأمراء ومن دونهم وكيف
يحتاج وهو مولاه الغني الحميد وعن إبراهيم الخواص قال لقيت غلاما
في التيه كأنه سبيكة فضة فقلت له إلى أين يا غلام قال إلى مكة فقلت
بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ
السموات والأرض يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا زاد ولا راحلة
فانصرفت وتركته فلما دخلت مكة فإذا أنا معه في الطواف يقول
يا نفس سيحي أبدا ولا تحبي أحدا إلا الجليل الصمدا
يا نفس موتي كمدا فلما رآني قال يا شيخ أنت بعد على ذلك
الضعف وقال أبو مطيع لحاتم الأصم بلغني أنك تقطع المفاوز
بالتوكل من غير زاد قال حاتم زادي أربعة أشياء قال ما هي
قال أرى الدنيا والآخرة مملكة الله وأرى الخلق كلهم عبيد الله
وعياله وأرى الأرزاق والأسباب كلها بيد الله وأرى قضاء الله نافذا في جميع أرض الله
ألا إن الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة

إذا أبصرتهم أبصرت قوما ملوك الأرض شيمتهم سماحة
والأمر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه في هذا الشأن
ما هو فيه من الخطر العظيم والأمر الكبير قلت أليس الله سبحانه وتعالى
ضمن الرزق بالخلق فقال جل وعلا خلقكم ثم رزقكم فدل على أن الرزق
من الله لا غير كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال إن الله
هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الأرض
إلا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك
كله حتى أمرنا بالتوكل وأبلغ وأنذر فقال وتوكل على الحي الذي
لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فمن لم يشتغل
بقوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه
ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله وأي
محنة تجيء منه وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها
في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم
لابن عمر كيف أنت إذا بقيت بين قوم يخبئون رزق سنتهم
لضعف اليقين وعن الحسن لعن الله أقواما أقسم لهم ربهم فلم
يصدقوه وقالت الملائكة عند نزول هذه الآية فورب السماء والأرض
هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم
وعن أويس القرني أنه لو عبدت الله عبادة أهل السماء والأرض

لما تقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون آمنا بما تكفل
الله من أمر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال له هرم
بن حيان أين تأمرني أن أقيم فأومى بيده إلى الشام قال كيف
المعيشة بها قال أف لهذه القلوب لقد خالطها الشك
فما ينفعها الموعظة وبلغنا أن شابا تاب على يدي أبي يزيد
البسطامي رحمه الله عليه فسأله أبو يزيد عن حاله فقال نبشت
عن القبر فلم أر وجوههم إلى القبلة إلا رجلين فقال أبو يزيد
وروي أنه رأى رجلا من أهل الصلاح فسأله عن حاله فقال هل سلمت
بإيمانك فقال إنما يسلم الإيمان للمتوكلين نسأل الله تعالى
أن يصلحنا بفضله ولا يؤاخذنا بما نحن أهله إنه أرحم الراحمين
فهذه مهمة فإن قلت فأخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه
وما يلزم العبد منه في أمر الرزق فاعلم أنا نبين لك هذا
بأربعة فصول ببيان لفظة التوكل وموضعه وحده وحكمه
فأما اللفظة فإنما هي التوكل هو التفعل من الوكالة فالمتوكل
على أحد هو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بأمره الضامن
لإصلاحه الكافي له من غير تكلف ولا اهتمام فهذه جملته وأما الموضع
فاعلم أن التوكل اسم يطلق في ثلاثة مواضع أحدها في موضع القسمة
وهو الثقة بالله بأنه لا يفوتك ما قسم لك فإن حكمه لا يتبدل وهذا
واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة

ينصر الله عز وجل لك إذا نصرته وجاهدت في سبيله قال الله تعالى فإذا عزمت فتوكل
على الله وقال إن تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد والثاني في موضع الرزق والحاجة
بأن الله تعالى متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته وتمكين عباده به
قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الأمين صلى الله
عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطيور تغدو
خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع
جميعا وهذا هو الأشهر الأغلب أعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود
في هذا الفصل فموضع التوكل إذا هو الرزق المضمون فيما قال العلماء
بالله وإنما يتضح لك هذا ببيان أقسام الرزق فاعلم أن الرزق أربعة
أقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء
وما به قوام البنية دون سائر الأسباب فالضمان من الله تعالى لهذا
النوع والتوكل يجب بإزائه بدليل العقل والشرع لأن الله تعالى
كلفنا خدمته وطاعته بأبداننا فضمن ما يسد خلل البنية
لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية كلاما حسنا
على أصله أن ضمان أرزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلاثة
أشياء أحدها أنه سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة
العبيد كما أن على العبيد خدمة السيد والثاني أنه خلقهم
محتاجين إلى الرزق فلم يجعل لهم سبيلا إلى طلبه إذ لا يدرون

بأي رزق هو رزقهم وأين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه وفي وقته
ليصلوا إليه فكذلك فوجب أن يكفيهم أمر ذلك ويوصلهم إليه والثالث أنه
كلفهم الخدمة وطلب الرزق يشاغل عنها فوجب أن يكفيهم المؤنة
ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط علما بأسرار الربوبية والقائل
بأن على الله واجبا نائبه وقد أوضحناه في الكلام فسادع ولنرجع
إلى المقصود من غرضنا وأما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله
وكتبه في اللوح المحفوظ ما يأكله ويشربه ويلبسه كل واحد
بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر
عما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ
ليس تقوى تقي بزائده ولا فجور فاجر بناقصه وأما المملوك فهو ما
يملكه كل واحد من أموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى له وهو من رزقه
قال أنفقوا مما رزقناكم أي مما ملكناكم وأما الموعود فهو ما وعد الله تعالى
المتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه
أقسام الرزق والتوكل إنما يجب بإزاء المضمون منها فاعلم
ذلك وأما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا إنه اتكال القلب
إلى الله تعالى بالانقطاع إليه والإياس عما دونه وقال بعضهم
حفظ القلب إلى الله بموضع المصلحة بترك تعليقه على شيء
دونه وقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله التوكل ترك التعليق

والتعليق ذكر قولهم بمشيئتك دون الله وقال الشيخ الامام رحمه الله
التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر قولهم بمشيئتك من قبل الله تعالى
والتعليق ذكر قولهم عن دون الله والا فاويل عندك ترجع
الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد
خلتك وكفايتك انما هو من الله عز وجل لا باحد دون الله
من الدنيا ولا بشيء من الاسباب ثم الله سبحانه وتعالى ان شاء سببه
مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته دون الاسباب والوسائط
فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه فانقطع القلب عن
المخلوقين والاسباب بالمرة الى الله سبحانه فقد حصل التوكل
حقه فهذا حده ولما حصن التوكل الباعث عليه هو ذكر ضمان
الله تعالى ولما حصن حصنه ذكر جلال الله وكمال علمه وقدرته
وتنزهه عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا واظب
العبد هذه الاذكار بعثته على التوكل على الله في امر الرزق
فان قيل فهل يلزم العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق
المضمون الذي هو الغذاء والقوام فلا يمكننا طلبه اذ هو
شيء من فعل الله سبحانه بالعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد
على تحصيله ولا دفعه ولما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد
طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو
من الله تعالى وفي ضمان الله تعالى ولما قوله عز وجل وابتغوا من فضل الله

المراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو امر وارد بعد
الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل فهل لهذا
الرزق المضمون اسباب هل يلزمنا طلب الاسباب قيل له لا يلزمك
ذلك اذ لا حاجة بالعبد اليه اذ الله سبحانه وتعالى يفعل برزق بسبب
وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك
ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه
فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب بعينه سببها رزقه الذي يتناوله الغير والذي
يصير سبب غذائه وتربيته لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه
من اين يحصل له فلا يصح تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم
حسبك ان الانبيا صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلين لم يطلبوا
رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة باجماع انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله تعالى ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب
الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت فهل يزيد
الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا فانه مكتوب
في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير
لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم
خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق
لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهو فاسد

لأن الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة
بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان
الطلب يزيد والترك ينقص لكان للأسى والفرح موضع اذ هو
قصر وتوانى حتى فاته وجد وتشمر حتى حصله وقال النبي عليه السلام
للسائل هالك لو لم تأتها لأتتك فان قيل فالثواب والعقاب
أيضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب
وينقص بتركه فاعلم أن طلب الثواب إنما وجب لأن الله تعالى
لعربه أمرا جتما وأوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل
منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق بينهما
في ثلثة وهي كما قاله بعض علمائنا أن المكتوب في اللوح المحفوظ
قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد
وهو الأرزاق والآجال ألا ترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا
غير مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال
الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم أربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق
والأجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب
والعقاب ألا ترى كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا
قال الله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم
جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين

يجدون الأرزاق والأموال والتاركين يعدمون ويفتقرون
قيل لهم أما ترى أنك لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا أو فارغا مرزوقا
غنيا بلى لأن هذا هو الأكثر لتعلم أن ذلك تقدير العزيز العليم
وتدبير الملك الحكيم وأنشدني أبو بكر بن محمد بن سابق الصقلي
الواعظ بالشام وكم قوي قوي في تقلبه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الإله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف
فان قيل فهل ندخل البادية بلا زاد فاعلم إن كان لك
قوة القلب بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل وإلا فكن
كالعوام مع علائقهم ولقد سمعت الإمام أبا المعالي رحمه الله عليه
يقول إن من جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله معه
على ما هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا كلام حسن جدا وفيه
فوائد جمة لمن تأملها فان قلت أليس الله تعالى يقول وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فاعلم أن فيه قولين أحدهما أنه زاد
الآخرة ولذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل حطاما واسبابها
والثاني أنه كان قوم لا يأخذون زادا في طريق الحج لنفسهم
اتكالا على الناس ويسألون ويلحون ويؤذون الناس
فأمروا بالزاد أمر تنبيه على أن أخذ الزاد خير من الأخذ
من أخذ أموال الناس والاتكال عليهم ولذلك نقول فان قلت

فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الأسفار فاعلم أنه ربما يحمل
ولا يعلق القلب به بأنه لا محالة رزقه وفيه قوامه إنما يعلق القلب
بالله ويتوكل عليه ويقول إن الرزق مقسوم مفروغ منه
والله تعالى إن شاء أقامني بهذا أو بغيره وربما يحمل بنية
أخرى بأن يعين مسلما أو نحو ذلك وليس الشأن في أخذ الزاد
وتركه إنما الشأن في القلب لا تعلق قلبك إلا بوعد الله وحسن كفايته
دون الزاد فكم من تارك للزاد ويتعلق قلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشأن
إذا في القلب فافهم هذه الأصول تكفك المؤنة إن شاء الله فإن قيل
فإن النبي عليه السلام كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف
الصالح يقال له فلا جرم لأن ذلك مباح غير حرام إنما الحرام
تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه وتعالى فافهم
ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى
له وتوكل على الحي الذي لا يموت أعصاه في ذلك وعلق قلبه
بطعام أو شراب أو درهم أو دينار كلا وحاشا أن يكون ذلك
بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله على الله تعالى فإنه الذي
لم يلتفت إلى الدنيا بأسرها ولم يمد يده إلى مفاتيح خزائن
الأرض كلها وإنما كان أخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات
الخير لا لميل قلوبهم عن الله تعالى إلى الزاد والمعتبر القصد على
ما أعلمناك فانتبه من رقدتك فإن قلت أيهما أفضل أخذ الزاد

أم تركه فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الحال إن كان مقتدى به في الدين
يريد أن يبين أن أخذ الزاد مباح أو ينوي به عون مسلم
أو إغاثة ملهوف ونحو ذلك فالأخذ أفضل وإن كان منفردا
قوي القلب بالله يشغله الزاد عن عبادة الله فالترك أفضل
تتفهم هذه الجملة واحتفظ بها راشدا والله ولي التوفيق
العارض الثاني الأخطار وإرادتها وقصودها وإنما كفايتها
في التفويض فعليك بتفويض الأمر كله إلى الله سبحانه وذلك لأمرين
أحدهما لطمأنينة القلب في الحال فإن الأمور إذا كانت خطرة
مبهمة لا تدري صلاحها من فسادها فتكون مضطرب القلب
تائه النفس لا تدري تقع في صلاح أو فساد فإذا فوضت الأمر
إلى الله تعالى علمت أنك لا تقع إلا في صلاح وخير فتكون آمنا
من الخطر مطمئن القلب في الحال وهذه الطمأنينة والراحة
في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه
كثيرا دع التدبير على من خلقك تسترح والثاني أن في الأمر حصول
الصلاح والخيرة في الاستقبال وذلك لأن الأمور بالعواقب مبهمة
فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم في هيئة
شهد وأنت الجاهل بالعواقب والأسرار فإذا أردت الأمور
قطعا وأخذت فيها باختيارك فما أسرع ما تقع في هلاك
ولا تشعر ولقد حكي أن بعض العباد كان يسأل الله تعالى أن يريه إبليس

ابليس فقيل له سل الله تعالى العافية فابى ذلك فاظهره الله تعالى
له فلما راه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك
تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله وقال في نفسه
ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في الفسق وترك
العبادة وهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك الحكم في ارادتك
والتجارح في مطلوبك ويحذرك طول الامل ايضا فانه الآفة
العظيمة ولقد صدق القائل

وإياك والمطامع والاماني فكم امنية جلبت منية

واذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسالته ان يختار لك ما هو صلاحك
لم يكن الا الخير والسداد ولا يقع الا على الصلاح قال الله تعالى
حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى الله ان الله بصير
بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب اما ترى كيف اعقب
تفويضه بالوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد
فتامل موفقا فان قلت بين لنا التفويض وحكمه فاعلم
ان ههنا فصلين بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض
والثاني معناه وحده وضده اما موضعه فاعلم ان المرادات
ثلثة مراد تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب
وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة
ذلك والثاني مراد تعلم قطعا انه صلاح كالجنة والايمان

والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه
ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد لا تعلم يقينا ان لك فيه
صلاحا او فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع
التفويض فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير
والصلاح فان قدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان
اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه فموضع التفويض
اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تتيقن صلاحك فيه واما
معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه خطر
الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ
ابي محمد السجزي رحمه الله هو ترك اختيار المخاطرة على المختار لك
لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله هو ترك الطمع
والطمع هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ
والذي نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك
فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع في الجملة
يجري على وجهين احدهما بمعنى الرجاء تريد شيئا لا خطر فيه
او مخاطرا بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل ههنا والثاني
طمع مذموم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع

فإنه فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع
قال شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيئان سكون القلب إلى منفعة
مشكوكة والثاني إرادة الشيء المخاطر بالحكم وهذه الإرادة
تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك والأصل الثاني التفويض فهو
ذكر خطر الأمور وإمكان الهلاك والفساد فيها وحسن حصنه
ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر وعن الامتناع عن الوقوع
فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين
تحملك على تفويض الأمور كلها إلى الله عز وجل والتحفظ
عن الحكم فيها والامتناع عن إرادتها إلا بشرط الخيرة
والصلاح فهذه جملة مقنعة وبالله التوفيق فإن قيل
فما هذا الخطر الذي توجبون التفويض لأجله في الأمور
فاعلم أن الخطر في الجملة خطران خطر الشك بأنه يكون أو لا يكون
وأنك تصل إليه أو لا تصل إليه وهذا يحتاج إلى الاستثناء
ويقع في باب النية والأمل والثاني خطر الفساد بأن
لا تتيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه
إلى التفويض ثم اختلفت عبارات الأئمة في الخطر فعن بعضهم
أن الخطر في الفعل ما لا يكون دونه نجاة ويمكن أن يجامعه
ذنب فالإيمان والاستقامة والسنة لا خطر فيها إذ لا يمكن
دون الإيمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فإذا يصح إرادة

الإيمان والاستقامة بالحكم وقال الأستاذ رحمه الله الخطر في الفعل
ما يمكن أن يعترض فيه ما يكون الاشتغال بالعارض أولى من الإقدام
على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن والفرائض
ألا ترى أن من تضيق عليه وقت الصلاة وقد رأى [illegible]
حريق أو غريق يمكنه إنقاذه فالاشتغال بإنقاذه أولى
من الإقبال على صلاته فلا يصح إذاً إرادة المباحات والنوافل
والكثير من الفرائض بالحكم فإن قيل كيف يصح أن يفترض الله
على عبده شيئاً ويوعده على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله
فاعلم أن شيخنا رحمه الله قال إن الله تعالى لا يأمر العبد
بشيء إلا وفيه صلاحه إذا تجرد عن العوارض ولا يضيق
عليه فعلاً فرضاً بحيث لا معدل عنه غير ذلك إلا وله فيه صلاح ولا عارض بما
يسبب الله تعالى له عذراً لأجله يكون العدول عن أحد المأمورين أولى
فالاشتغال بالآخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذوراً بل مأجوراً لا يترك
هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو أولى ولقد سمعت الإمام رحمه الله
في هذه المسألة يقول إن كل ما فرض الله على عباده من الصلاة والحج
والصوم ونحوه ففيها صلاح لا محالة للعبد وحينئذ ولا نريدها بالحكم
فاتفق رأينا على ذلك فبقي المباحات والنوافل إذاً في هذا
الحكم فاعلم ذلك فإنه من غوامض هذا الباب وبالله التوفيق فإن قيل
فهل يأمن المفوض الهلاك والفساد والدار دار محنة

فاعلم أن في الأغلب لا يفعل بالمفوض إلا الصلاح فقد يفعل به في النادر
غير الصلاح ولذلك ربما يخذله فيقع عن منزلة التفويض لما أن صلاح
العبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال الشيخ
أبو عمرو رحمه الله وقيل لا يفعل بالمفوض إلا ما فيه صلاحه فيما فوض إلى
الله سبحانه والخذلان والقصور عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه
التفويض إذ لا شك في فساد ذلك والتفويض إنما يقع فيما يشك
في فساده وصلاحه وهو أول القولين عند شيخنا رحمه الله إذ لولا ذلك
لما قويت الباعثة على التفويض فإن قيل فهل يجب أن يفعل
بالمفوض ما هو الأفضل فاعلم أن الإيجاب مستحيل في حق الله سبحانه
ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الأصلح دون الأفضل كما
في فعله الأثري أنه قدر للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن ناموا
طول الليل إلى طلوع الشمس في بعض أسفارهم حتى فاتتهم
صلاة الليل وصلاة الفجر والصلاة أفضل من النوم وربما يقدر
للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وإن كان الفقر أفضل ويقدر له
الاشتغال بالأزواج والأولاد وإن كان التجرد لعبادة الله تعالى
أفضل فإنه بعباده خبير بصير وهذا كما أن الطبيب الحاذق
الناصح يختار للمريض ماء الشعير وإن كان ماء السكر أفضل وأنفس
لما علم أن صلاحه على شرب ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة من
الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والهلاك فإن قيل

70

هل يكون المفوض مختاراً للأفضل فاعلم أن الصحيح عند علمائنا رحمهم الله
أنه يكون مختاراً له ولا يقدح في تفويضه وذلك لأن المعنى فيه إذا كان له
صلاح في المفضول والأفضل فهو يريد من الله تعالى أن يسبب له
الأفضل كما أن المريض يقول للطبيب اجعل دوائي ماء السكر
دون ماء الشعير إذا كان لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل
والصلاح جميعاً فلذلك العبد إذا سأل الله تعالى أن يجعل صلاحه
فيما هو الأفضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح له
جميعاً ولكن بشرط أنه إن اختار الله له الصلاح في غير الأفضل
أن يكون راضياً بذلك فإن قيل فلما إذا كان للعبد أن يختار
الأفضل وليس له أن يختار الأصلح فاعلم أن الفرق بينهما
أن العبد يعرف الأفضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد
لأنه يدرك بالحكم ثم معنى اختيار الأفضل أن يريد من الله سبحانه أن يجعل
صلاحه فيما هو الأفضل ويختار له ذلك ويقدره لا أن للعبد
تحكماً في شيء من ذلك فاعلمه فهذه جملة من دقيق هذا العلم
وأسراره ولولا أن الحاجة مست إليه لما تعرضنا لإيراده لأنه بالحقيقة
من علوم المكاشفة مع أني اقتصرت على النكت المقنعة في هذا
الكتاب وقصدت الإيضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون
إن شاء الله والله ولي التوفيق

العارض الثالث القضاء

ووروده بأنواعه وإنما كفايته في الرضا به فعليك أن تترك

بقضاء الله وذلك لأمرين أحدهما لتتفرغ للعبادة لأنك إذا لم ترض بالقضاء
تكون مهموماً مشغول القلب أبداً بأنه لم كان كذا ولماذا لا يكون كذا
فإذا اشتغل القلب بشيء من الهموم كيف تتفرغ للعبادة إذ ليس
لك إلا قلب واحد وقد ملأته من الهموم بما كان وما يكون من أمور
الدنيا فأي موضع فيه لذكر العبادة وفكر الآخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله حيث قال
إن حسرة الأمور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه
والثاني من الأمرين خطر ما في التسخط من غضب الله سبحانه ولقد روينا
في الأخبار أن نبياً من الأنبياء شكا بعض ما ناله من المكروه إلى الله سبحانه
فأوحى الله تعالى إليه كم تشكوني ولست بأهل ذم ولا شكوى هكذا
بدو شأنك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك أتريد أن أغير
الدنيا لأجلك أو أبدل اللوح المحفوظ بسببك فأقضي ما تريد
دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب فبعزتي حلفت لئن تلجلج
هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك
النار ولا أبالي قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة
والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه فكيف مع غيرهم
ثم ما ينفع تردد القلب فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو
وينادي بالويل والصراخ من ربه على رؤوس الملأ ويتخذ له
أعواناً وأصحاباً فهذا المتسخط ويح فكيف بمن هو في السخط
على الله تعالى جميع عمره فهذا لمن شكا إليه فكيف لمن شكا إلى غيره

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونسأله أن يعفو عنا
ويغفر لنا سوء آرائنا ويصلحنا بحسن نظره إنه أرحم الراحمين
فإن قيل فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم
أن علماءنا رحمهم الله قالوا إن الرضا ترك السخط والسخط ذكر غير
ما قضى الله بأنه أولى به وأصلح له فيما لا يستيقن فساده وصلاحه
هذا شرط فيه فاعلم ذلك فإن قلت أليس الشرور والمعاصي
بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم
أن الرضا إنما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وإنما الشر
هو المقضي فلا يكون رضاء بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله
المقضيات أربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها
بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث أنه نعمة والشدة
يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث
أنه شدة والخير يجب الرضا فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه
ذكر المنة من حيث أنه خير ومنفعة له والشر يجب عليه الرضا
بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث أنه مقضي لا من حيث أنه شر
وكونه مقضياً يرجع إلى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما أنك ترضى
مذهب المخالف أن يكون معلوماً لك لا أن يكون مذهباً لك ثم كونه
معلوماً يرجع إلى العلم فالرضا والمحبة إنما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب
المخالف لا المذهب فكذلك هذا فإن قيل فالراضي هل يكون

مسترئيا قيل له نعم يشترط الخير والصلاح دون الحلم فلا يخرجه
ذلك عن الرضا بل يدل أن يزيد على الرضا فهو أولى لأن من أعجبه شيء ورضي
ذلك استزاد منه وكان عليه السلام إذا حضر اللبن يقول اللهم
بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع
من الموضعين لم يدل على أنه غير راض بما قدر الله تعالى من ذلك
فإن قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير
والصلاح فاعلم أن هذه الأمور إنما تكون بالقلب وإنما يقال
باللسان عبارة عن ذلك فلا معتبر بترك عبارة مع حصوله بالقلب
فاعلم ذلك

العارض الرابع الشدائد والمصائب

وإنما كفايتها بالصبر فعليك بالصبر في المواطن كلها وإنما ذلك لأمرين
أحدهما الوصول إلى العبادة وحصول المقصود منها فإن مبنى
أمر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا
لم يصل إلى شيء منها بالحقيقة وذلك أن من قصد عبادة الله تعالى
وتجرد لها استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه أحدها
أنه لا عبادة إلا وفي نفسها مشقة ولذلك كل هذا الترغيب فيه
ووعد الثواب عليه إذ لا يتأتى فعل العبادة إلا بقمع الهوى وقهر النفس
فهي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من أشد الأمور
على الإنسان وثانيها أن العبد إذا فعل الخير بالمشقة
لزمه الاحتياط حتى لا يفسد عليه والاتقاء على العمل أشد من العمل

وثالثها أن الدار دار محنة فمن كان فيها لا بد له من الابتلاء
بشدائدها ومصائبها وذلك أقسام فمنها المصيبة في الأهل والقرابات
والإخوان والأصحاب بالموت والفقر والفراق وفي النفس بأنواع
الأمراض والأوجاع وفي العرض بقصد الناس إياه والطعن فيه
والازدراء به والغيبة له والكذب عليه وفي المال بالذهاب والزوال
ولكل واحدة من هذه المصائب لدغة وحرقة من نوع آخر فيحتاج
إلى الصبر عليها كلها وإلا فيمنعه الجزع والتلهف من التورع
للعبادة ورابعها أن طالب الآخرة أشد ابتلاء وأكثر محنة أبدا ومن
كان إلى الله تعالى أقرب فالمصائب له في الدنيا أكثر والبلاء عليه
أشد ألا تسمع قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء
ثم الشهداء ثم الأمثل فالأمثل فإذا من قصد الخير وتجرد لطريق
الآخرة استقبلته هذه المحن فإن لم يصبر عليها ولا يكون بحيث
لا يلتفت إليها انقطع عن الطريق فاشتغل عن العبادة فلا يصل
إلى شيء من ذلك ولقد علمنا الله سبحانه بالتلقي للمصائب والمحن وابتلائنا بها
وحقوق ذلك الله تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ثم قال وإن تصبروا
وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور فكأنه يقول وطنوا أنفسكم
على أنه لا بد لكم من أنواع البلاء فإن تصبروا فأنتم الرجال وعزائمكم
عزائم الرجال فإذا من عزم على عبادة الله تعالى تجب ألا يعزم

على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة
المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير آلته واتاه من غير
وجهه ولقد ذكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله انه قال من عزم على قطع طريق الآخرة
فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع
والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقائع بعضها على بعض والثاني
من الاوجه ان في الصبر خير الدنيا والآخرة فمن ذلك النجاة والنجاح
قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
معناه ومن يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد ومنها
الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها
الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام
ان آباءك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
وقيل في هذا المعنى شعر
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قوله تعالى وجعلنا منهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قال سبحانه
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة والصلوات
والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ومنها المحبة من الله تعالى قال تعالى
ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة قال تعالى اولئك
يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قوله تعالى سلام عليكم
بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية وخارج عن احصاء الخلق واعدادهم
قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد
ما اكرمه كل هذه الكرامات في الدنيا والآخرة يعطي عبده على صبر ساعة
فبان لك ان خير الدنيا والآخرة في الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما اعطي
احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه انه قال جميع خير المؤمنين
في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل
الصبر مفتاح كل يسر * وكل خير به يكون
اصبر وان طالت الليالي * فربما امكن الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون
قال الآخر
صبرت وكان الصبر مني سجية * وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فعليك باعتبار هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها لتكون من الفائزين
والله تعالى ولي التوفيق فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم
ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
وانما يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب عن
المجرمين فلا يعجلهم ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب سمي صبرا
لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك
من الشدة وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة بالحيل والصبر تركه

وحصن الصبر ذكر مقادير الشدة ووقتها وأنها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم
ولا تتأخر ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحصن هذا
الحصن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وعظيم الذخر في ذلك لأربابه
فهذه هذه وبالله التوفيق

فصل

فعليك بقطع
هذه العقبة الشديدة المتعبة برفع هذه العوارض الأربعة وإزاحة
علتها وإلا فلا بد عن تحصيل مقصود كل من العبادة وتتفكر فيها
فضلا عن أن تبذل لها وتحصلها وأن لكل واحد منها شغلا شاغلا
عاجلا وآجلا ثم إن أعظمها وأعضلها أمر هذا الرزق وتدبيره
فإنه البلية الكبرى لعامة الخلق أتعبت نفوسهم وشغلت
قلوبهم وأكثرت همومهم وضيعت أعمارهم وأعظمت تبعاتهم
وأوزارهم وعدلت بهم عن باب الله وخدمته إلى خدمة الدنيا
وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب
ونصب وهم ومهانة وذل وقدموا الآخرة مفاليس بين أيديهم الحساب
والعذاب إلا من يرحم الله تعالى بفضله وإن تذكر كم آية
أنزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعد وضمان وقسم على
ذلك ولم يزل الأنبياء عليهم السلم والعلماء يعظون الناس ويبينون
لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الأمثال ويخوفونهم
بالله تعالى وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يثقون ولا يطمئنون بل هم
في غمرة من ذلك لا يزالون يخافون أن يفوتهم غداء أو عشاء

وأصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله سبحانه وتعالى وقلة التفكر في صنائع الله وقلة
الفهم وترك التذكر لكلام رسول الله عليه السلم وترك التأمل لأقوال
الصالحين مع الاسترسال لوساوس الشيطان والإصغاء إلى كلام
الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم
ورسخت العادات في قلوبهم فتأدى بهم ذلك إلى ضعف القلب
ورقة اليقين وأما الأخيار الذين هم أولو الأبصار وأرباب الجد
والاجتهاد فأبصروا طريق السماء فلم يتعلقوا بأسباب الأرض واعتصموا
بحبل الله فلم يلتفتوا إلى العلائق والخلق وتيقنوا بآيات الله وأبصروا
طريقه فلم يلتفتوا إلى وساوس الشيطان والخلق والنفس فإذا
وسوس لهم شيطان أو نفس أو إنسان بشيء قاموا بالمشاقة
والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل عنهم الشيطان
وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم
على ما ذكر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه لما أراد أن يدخل البادية
أتاه الشيطان فخوفه أن هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب
فعزم على نفسه رحمه الله أن يقطع البادية على تجرده ذلك
ولا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من أميالها ألف ركعة وفاء
بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى إن الرشيد
حج في بعض تلك السنين فرآه تحت ميل من أميالها يصلي فقيل له هذا
إبراهيم بن أدهم فأتاه فقال كيف تجدك يا أبا إسحاق فأنشأ إبراهيم

رحمه الله

يقول: نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع
فطوبى لعبدٍ آثر الله ربّه • وجاد بدنياه لما يتوقّع

وعن بعض الصالحين رحمه الله أنه كان في بعض البوادي فوسوس
له الشيطان بأنك متجرّد وهذه البادية لا عمران فيها ولا أناس فعزم
على نفسه بأن يمضي على تجرّده ولن يترك الطريق حتى لا يلتقي
بأحدٍ من الناس ولا يأكل شيئاً حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم عدل
عن الشارع ومرّ على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله فإذا
بقافلةٍ قد ضلّت الطريق وهم يسيرون فلما أبصرتهم ألقيت
نفسي إلى الأرض لعلّهم لا يبصرونني فيسّرهم الله حتى وقفوا عليّ
فغمّضت عينيّ فدنوا منّي وقالوا هذا منقطع قد غُشي عليه من الجوع
والعطش فهاتوا سمناً وعسلاً نجعله في فيه لعلّه يفيق فأتوا
بسمنٍ وعسلٍ فشددت فمي وأسناني فأتوا بسكّين فعالجوا
فمي حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فمي فلما رأوا ذلك منّي قالوا مجنون أنت
قلت لا والحمد لله فأخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض
[...] فوسوس إليّ الشيطان بأن هذا مسجد بعيد عن الناس
لو صرت إلى مسجدٍ بين الناس لرآك أهله وقاموا بكفايتك فقلت
لا أبيت إلا ههنا وعلى عهد الله أن لا آكل شيئاً إلا الحلواء ولا آكله
حتى يوضع في فمي لقمةً لقمةً فصلّيت العتمة وأغلقت الباب
فلما مضى صدرٌ من الليل إذا أنا بإنسانٍ يدقّ الباب ومعه سراج

فلما أكثر الدقّ فتحت الباب فإذا بعجوزٍ معها شابّة فدخلت فوضعت بين يديّ طبقاً
من الخبيص وقالت هذه الشابّة ولدي صنعت له هذا الخبيص وجرى
بيني كلام فحلفت أن لا يأكله حتى يأكل معه رجل غريب أو قالت يأكل معه
هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله فأخذت تضع في فمي لقمةً
وفي فم ولدها لقمةً فهذه وأمثالها من مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم
للشيطان فإن في ذلك فوائد ثلاثاً أحدها أن تعلم أن الرزق لا يفوت
من قُدِّر له بحال والثانية أن تعلم أن أمر الرزق والتوكّل مهمّ جدّاً
وأن للشيطان فيه غوائل ووساوس عظيمة حتى إن مثل أولئك
الأئمة الزهّاد لم يتخلّصوا من ذلك ولم ييأس عنهم الشيطان بعد طول
تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي سبقت لهم حتى يحتاجوا
إلى دفعه بهذه المناقضات ولعمري إنّ من جاهد النفس والشيطان
سبعين سنةً لا يأمن أن يوسوساه كما يوسوسان المبتدئ في العبادة
بل الغافل لم يجتهد ساعةً في الرياضة ولو ظفرا به لفضحاه وأهلكاه
هلاك الغافلين المغترّين وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار والثالثة
أن تعلم أن الأمر لا يتمّ إلا بالجدّ المحض والمجاهدة البالغة فإنهم
كانوا لحماً ودماً وبدناً وروحاً مثلك بل كانوا أنحف أبداناً وأضعف
أركاناً وأدقّ عظاماً منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور اليقين
وهمّة أمر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحقّ
تلك المقامات فانظر لنفسك رحمنا الله وإياك وداوم هذا الذكر

بالفصل لعلك تفلح إن شاء الله. فصل ثم اعلم بعد هذه الجملة
أني قد جمعت لك نكتا وجدتها بحيث تتمكن في القلب إذا تدبرتها فيكفيك
مؤنة هذا الباب وتدلك على واضحة من الحق إن تأملتها وعملت
بها والله الموفق. الأولى أن تعلم أن الله تعالى ضمن رزقك في كتابه
وتكفل لك به وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا أنه يضيفك
الليلة ويعشيك وأنت حسن الظن به أنه صادق لا يكذب ولا يخلف
الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي أو يهودي أو نصراني أو مجوسي مستور
عندك بظاهر عفيف في معاملته ألست تثق بوعده وتطمئن
لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فالله قد وعدك
وضمن لك رزقك وتكفل بل أقسم عليه في غير موضع وأنت
لا تطمئن بوعده ولا تسكن إلى قوله وضمانه ولا تنظر إلى قسمه
بل يضطرب قلبك ويهتم فيا لها من فضيحة لو انتبهنا لها من مصيبة
لو علمت. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تطلب رزق الله من عند غيره
ولتصبح من تخوف العواقب آمنا وترضى بصرف وإن كان مشركا
ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا كأنك لم تقنع بما في كتابه فأصبح من حول اليقين مرتابا
ولهذا المعنى يخشى هذا الأمر إلى الشك والشبهة ويخاف
على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفة والدين ولهذا قال
سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم لأمر دينه هذه النكتة

الواحدة ولا حول ولا قوة إلا بالله. الثانية أن تعلم أن الرزق
مقسوم صح ذلك من كتاب الله تعالى وأخبار رسوله عليه السلام
وتعلم أن قسمته لا تتغير ولا تتبدل فإن أنكرت القسمة أو جوزت نقضها
فذلك باب الكفر نعوذ بالله منه وإن علمت أنه حق لا يتغير
فأي فائدة في الاهتمام والطلب إلى الذل والهوان في الدنيا والثقل
والخسران والعقوبة في الآخرة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب
على ظهر الحوت والثور رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص
إلا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله إن لم تقدر لما مضغك
أن تمضغه فلا يمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله
بالذل. وهذه نكتة مقنعة للرجال. الثالثة ما سمعت شيخي الإمام رحمه الله
يحكي عن الأستاذ رحمه الله أنه كان يقول إن مما ينفعني في أمر الرزق
أني تذكرت وقلت لنفسي أليس هذا الرزق للحياة والعيش والمبيت
لم يصنع بالرزق فإذا كان حياة العبد من الله تعالى وبيده
إن شاء يعطيني وإن شاء يمنعني وهو غني عني موكول إلى الله يحييني
كيف يشاء وأنا ساكن النفس بذلك. وهذه نكتة لطيفة مقنعة
لأهل التحقيق. النكتة الرابعة ما ذكرنا في هذا الفصل أن الله
ضمن رزق العبد ولم يضمن إلا الرزق المضمون الذي هو الغذاء
والتربية وفيه القوام والعدة دون الأسباب من الطعام والشراب
فالعبد إذا تجرد لعبادة الله وتوكل على الله فربما يحبس عنه

الألباب فلا يعجبك من ذلك ولا ينفجر لما علم من حقيقة الأمر لأن الضمان
لقوام البنية والتوكل على الله هو في هذا المعنى لا غير
والمنتظر من الله هذا المعنى وأن الله تعالى لا محالة يمده بالقوة
ليقوم بحق العبادة ولخدمته ما دام له أجل وتكليف بالعبادة
فهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء لأن شاء يقيم بنية
عبده بطعام وشراب أو بطين وتراب أو بتسبيح وتهليل كالملائكة
ولأن شاء بدون هذا كله فليس مطلوب العبد إلا القوام والقوة للعبادة
ليس الأكل والشرب ونيل الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار بالأسباب
إذا ولهذا المعنى قويت الزهاد والعباد على الأسفار وطي الليالي
والأيام فمنهم من لم يأكل عشرة أيام ومنهم من لم يأكل شهرا أو شهرين
وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله تعالى له
غذاء كما ذكر عن الثوري رحمه الله أنه فقدت نفقته بمكة
فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل قال أبو معاوية الأسود رأيت
إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما وعن الأعمش قال قال إبراهيم التيمي
رحمه الله ما أكلت منذ شهر شيئا قلت منذ شهر قال ولا شهرين إلا أن إنسانا
ناشدني الله على عنقود من عنب فأكلته فأنا أشتكي بطني قلت
فلا تعجبن من ذلك فإن لله القدرة على ما يشاء وهذا مريض تراه
لا يأكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال أضعف نفسا
وأرق طبعا من الصحيح القوي ولا الذي يموت جوعا فذلك لأجل حضره

كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن أبي سعيد الخراز
رحمه الله أنه قال كان حالي مع الله أن يطعمني كل ثلاثة أيام
فدخلت البادية فمضت علي ثلاثة أيام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع
وجدت ضعفا فجلست مكاني فإذا بهاتف يقول يا أبا سعيد
أيهما أحب إليك سبب أو قوة قلت لا إلا القوة فقمت من وقتي
وقد استقللت فأقمت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت ألما
لذلك فإذا رأى العبد احتباس الأسباب عنه وعلم من نفسه
التوكل على الله فليستيقن أن يمده الله تعالى بالقوة فلا يفجرن
لذلك بل حقه أن يشكر الله تعالى على ذلك شكرا كثيرا إذ أن له
المنة والصنع اللطيف أن رفع عنه المؤنة وأعطاه المعونة
وحصل له الأصل والمقصود ودفع عنه الثقل والواسطة
وخرق له علائق العادة وأراه طريق القدرة وأن شبه حاله
بحال الملائكة ورفعه عن حالة البهائم والعامة في تلك الكرامة
فتأمل هذا الأصل الكريم تغنم الربح العظيم إن شاء الله تعالى
قلت فلعلك تقول إنك أطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب
فأقول نعم والله إنه لقليل في جنب ما تحتاج إليه في هذا
المعنى إذ هو أهم شأن في العبادة بل عليه مدار أمر الدين
والدنيا والعبودية فمن له همة في هذا الشأن فليستمسك
بذلك وليراعه حقه وإلا فهو عن المقصود بمعزل والذي

يدلك على بصيرة علماء الاخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم
على التوكل على الله والتفرغ لعبادة الله وقطع العلائق
كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية وقيض الله لهم
من السادة واصحابا يقتدون بهم من الخير المحض ما لم يتيسر لطائفة
من طوائف الزهاد الكرامية على اصول غير مستقيمة وما زلنا
نعرج كما ذهبنا على منهاج ائمتنا المشايخ نخرج من معابدنا ومدارسنا
كل حبر اما امام في العلم كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد وابي
الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة واما صديق
في العبادة كابي اسحق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصير
المقدسي وغيرهم ممن فاق الائمة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب
من بعضنا وتلك طحننا شيء من العلائق التي ضرها اكثر من نفعها فتراجعت
وتقاعست [illegible] الهمم وطاردت البركات وزالت اللذات
والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة او يحصل له علم
وحقيقة وان اللمعة التي تظهر منا الان ليست ممن يقع على منهاج
اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس
الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين

فما صحبوا الايام الا بعفة ... وما وجدوا من حب سيدهم بدلا
افاضل صديقين اهل ولاية ... الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر ... وما حلت الايام من عقدهم عقدا

يكفينا في الصدر الاول ملوكا فصيرنا سوقية وكنا قد سسنا
فصرنا رجالة وليتنا لا ننقطع عن الطريق بمرة وهو المستعان على
المصائب والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم حنان منان رحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما التفويض فننقل فيه
امثلة احدها انك تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور
بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا فلا يأمن ان يختار
الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبدوي
او قروي ثم انتقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه
لا يهتدي الى ذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي فربما يغلط ايضا فلا تأمن
اذا الا بان تعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيهما
من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه
لا يصلح الا لله رب العالمين فلا يستحق اذا احد ان يكون له الاختيار
والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز من قائل وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وحكي ان بعض الصالحين قيل له ادع الله
سل تعط ان كان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول الجاهل
بجميع الوجوه سل تعط فقال الموفق ايش اعلم ما ذا يصلح لي فاسأله
ولكن اختر انت لي نعم هذه [illegible] يقول لو ان
اجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبرها لم تحتاج اليه

من مصالحك نفوض الأمر كله إلى ولا تشتغل أنت بشأنك الذي يعنيك
وهو عندك أعلم أهل زمانك وأحكمهم وأقواهم وأرحمهم وأتقاهم
وأصدقهم وأوفاهم ألست تغتنم ذلك وتعده أعظم نعمة ومنة
منه الكريمة وتقلده أوفر شكر وأجمل ثناء ثم إذا اختار لك شيئاً
لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تفزع لذلك بل تثق وتطمئن إلى تدبيره
وتعلم أنه لا يختار لك إلا ما هو الخير وما ينظر لك إلا الصلاح كيف
ما كان الأمر بعدما وكلت الأمر إليه وضمن ذلك فالكل إذاً لا تفوض
الأمور إلى رب العالمين وهو الذي يدبرها من السماء إلى الأرض
أعلم كل عالم وأقدر كل قادر وأرحم كل راحم وأغنى كل
غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك
ولا يبلغه فهمك وتشتغل أنت بشأنك الذي يعنيك في عاقبتك
وإذا اختار لك أمراً لا تعلم وجه سره رضيت بذلك واطمأننت
إليه كيف ما كان هو الصلاح والخير فتأمل راشداً إن شاء الله
وبالله التوفيق والثاني الرضا بالقضاء فتأمل فيه أصلين مقنعين
لا مزيد عليهما أحدهما أن في الرضا الفائدة في الحال والمآل
أما الفائدة الحالية ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك
قال بعض الزهاد رحمه الله إذا كان القدر حقاً فالهم فضل والأصل له
الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه
ليقل همك ما قدر يكون وما لم ترزق لم يأتك هذا هو الكلام

وتحققي أن المقدر كائن حتماً عليك صبرت أم لم تصبري خ

الجامع النبوي البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى وأما الفائدة في المآل
فثواب الله ورضوانه قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
وفي التسخط من الهم والضجر في الحال والوزر والعقوبة في الآخرة
بلا فائدة إذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وتسخطك كما قيل
ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ولك الأمان من الذي لم يقدر
فالعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة
القلب وثواب الجنة والأصل الثاني أن في التسخط عظيم الخطر
والضرر والكفر والنفاق إلا أن يتداركه الله وتأمل قوله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً
مما قضيت ويسلموا تسليماً نفى الإيمان وأقسم عمن سخط قضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضاءه وروينا
أن الله تعالى يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر
لنعمائي فليتخذ إلهاً سوائي قيل كأنه يقول هذا لا يرضاني رباً حتى
يسخط فليتخذ رباً آخر يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن
عقل ولقد صدق بعض السلف حين سئل ما العبودية والربوبية
فقال الرب يقضي والعبد يرضى فإذا قضى الرب ولم يرض العبد
فما هناك ربوبية ولا عبودية فتأمل هذا الأصل وانظر لنفسك
لعلك تسلم بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وأما الصبر فإنه دواء
مر وشربة كريهة مباركة تجلب إليك كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة

وإذا كان الدواء بهذه الصفة فالإنسان العاقل يكره النفس على شربه
وتجرعه ويغضي على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة سنة
فأما المنافع التي تحصلها فاعلم أن الصبر أربعة صبر على الطاعة وصبر
عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فإذا
احتمل العبد مرارة الصبر فصبره في هذه المواطن الأربعة تحصل له
الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة
ثم لا يقع في المعاصي وبلاياها في الدنيا وتبعاتها في الآخرة ثم لا
يبتلى بطلب الدنيا وبلاياها من الشغل في الحال والتبعة في المآل ثم
لا يحبط أجره على ما ابتلي به وذهب تحصل إذا بسبب الصبر
الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوض
والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك أمر لا يعلمه إلا الله
وأما دفع المضار فيتخلص أولا من مؤونة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم
وزره وعقوبته في العقبى وأما الذي هو ضعيف عن الصبر وسلك طريق
الجزع فإنه كل منفعة ويلحقه كل مضرة إذ لا يصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة أو لا يصبر على حفظها فيحبطها أو لا يصبر على المواظبة
عليها فلا يصل إلى المنزلة الشريفة فيها من درجات الاستقامة أو لا يصبر
عن معصية فيقع فيها أو فضول فيشتغل به أو لا يصبر على مصيبة
فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب
ذلك فيكون له مصيبتان فوت الشيء وفوت الأجر والعوض

وحلول المكروه وحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة
أشد من المصيبة وأي فائدة في شيء يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك
الذاهب المفقود وإذا فاتك ما تجده فإنه لا يفوتك الأجر ومن
الكلام الجامع ما ذكر أن عليا رضي الله عنه عزى رجلا فقال إن صبرت
جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن جزعت جرت عليك المقادير
وأنت مأزور ثم أقول فجملة الأمر أن قطع القلب عن العلائق المألوفة
وقلع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل المحض على الله جل
اسمه وترك التدبير في الأمور وتفويضها إلى الله عز وجل من غير
علم بما هو السر فيها وتنحية النفس عن السخط والجزع مع تسارع
النفس إليه وإكراهها على إلجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع
نفرتها عن ذلك لأمر وعلاج شديد وحمل ثقيل وكلفة تدبير
شديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة وأحوال سنية مسعودة
وما تقول في الوالد المشفق الغني إذا منع ولده العزيز رطبة أو
تفاحة يأكلها وهو أرمد ويسلمه إلى المعلم الغليظ السائس
ويحبسه طول النهار عنده ويضجره ويحمله إلى الحجام ليحجمه فيوجعه
ويقلقه أترى منع ذلك فيه من بخل فيه كيف وهو يعطي الأجانب
ويوسع عليهم أو هوان بهذا الولد كيف وهو يكتب له بجميع ما في
يده أو قصد بذلك التعب وإيذاءه لبغضه كيف وهو قرة عينه
وثمرة فؤاده ولو هبت عليه ريح لحزن عليه ذلك الوالد غاية

لا صلاحه في ذلك ولان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير
ونفع عظيم وما تقول في الطبيب الحاذق الناصح المحب اذا منع
المريض المدنف شربة ماء كيف يتقلى كبده وسقاه شربة
اهليلج كريهة تخرج عن ذلك طبعه ولنفسه انتهت ذلك منه معاداة
وايذاء كلا بل نصح واحسان لما علم يقينا لانه اعطاه شهوته
ساعة هلاكه وعطبه راسا وفي منع ذلك شفاءه وبقاءه فتأمل
ايها الرجل اذا احبس الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك
ما يريد ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا
يخفى عليه شيء فلا علة ولا عجز ولا خفاء تعالى عن ذلك وتقدس فانه
اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم العالمين واجود الاجودين فتعلم
اذا بالحقيقة انه لم يمنعك الا لصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول
خلق لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي
التي يتلاشى في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور ان الله
سبحانه وتعالى يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود
الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واذا ابتلاك بشدة فاعلم
يقينا انه غني عن اشقائك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك
وهو بك رؤف رحيم اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا
علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لك جهلته

انت وهو عالم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه
الذين هم اعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما
ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل
فالامثل واذا رايت الله يحبس عنك الدنيا او يكثر عليك الشدائد
والبلوى فاعلم انك عزيز عنده وانك عنده بمكان كبير وانه يسلك
بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله فاصبر
لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من
صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة
عنده فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولي
التوفيق بمنه وفضله فصل وبالجملة اذا علمت
يقينا ان الله تعالى الملك قد تكفل ان رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك
وقيامك بعبادته وانه القادر على ما يشاء كيف يشاء وهو البصير
بحاجتك حالا فحالا ساعة فساعة اتكلت على ضمانه الحق ووعده
الصدق وسكن قلبك بذلك فاضربت عن ذكر العلائق والاسباب
وتعليق قلبك بها اذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله
فانه عز وجل يتيسر لك كلها وشيء بها ثم هو الذي يتمم بها ويهنيها
ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها
وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها اذا شاء فالامر كله اليه
وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غيره وكذلك تترك التدبير في امورك

يجعل من بين يديه السماء والارض وتروح نفسك عن شيء لا يبلغه علمك

غدا او لا يكون بانه كيف يكون وتكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع

الوقت ولعله يكون امور لم تخطر ببالك فيكون كما اسبق من فكرك

وتدبيرك وتضييعك الوقت العزيز فيه يفوت بلا فائدة بل خسرانا مبينا

وفي هذا المعنى لبعض الزهاد سبقت مقادير الاله وحكمه فارح فؤادك من لعل ومن لو

سيكون ما هو كائن في وقته واخو الجهالة متعب محزون

فلعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه سوف يكون وتقول

مع الجملة لنفسك يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا

وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية لقدرته حليم لا نهاية

لحكمته رحيم لا احاطة لرحمته ومن كان بهذه الصفة لحقيق لان يتكل

عليه ويفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض ولذلك توطن

قلبك على لزوم ما يقضي الله لك فهو الاوفق والاصلح ولكن لا يبلغ

علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة

في السخط الا تحصيل الشقاوة فعليك الا ترضين بقضائه والقضاء من شان الربوبية وحقها فعليك

بالرضاء وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتراعي نفسك

عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منه شكاية

وقلق لاسيما عند الصدمة الاولى فان الشان حينئذ فالنفس

متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه

قد وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالى ما هو اكبر منها

فان انواع البلاء في خزائنه لكثيرة وان هذه ستنقضي فلا تبقى وانها

سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس قليلا تجدين لذلك سرورا طويلا

وثوابا جزيلا بعد ان لا دافع للنازل ولا فائدة في الجزع والمصيبة

في الحقيقة مع الغم والصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع وقلبك

بذكر ما يحصل لك عند الله من الاجر وتتذكر صبر اهل العزم على

المصائب العظام من الانبياء والاولياء والاعزة على الله تعالى واذا

حبس عنك الدنيا وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال وارحم

بك واكرم وانه الذي يطعم يعطي الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته

وانا عبده العارف الموحد اساوي عنده رغيفا ايضا

فاعلم بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم وسيجعل

الله بعد عسر يسرا فاصبري قليلا ثم العجب من لطيف صنعه

لما سمعت قول القائل

توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب

ولا تيأس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب

وقال الآخر

اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح

فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح

فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرير

والتمرين فان ذلك سيهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد

غير طويل ولقد دفعت من الأربعة العوارض وكفيت مؤنتها
وصرت عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه
الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في
الدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبى وجليل القدر والمحبة
عند رب العالمين فيجتمع خير الدارين ويستقيم لك طريق العبادة
إذ لا عائق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة العسيرة
والله سبحانه المسؤول أن يمدك وإيانا بحسن توفيقه فإن الأمر
كله بيده وهو أرحم الراحمين

العقبة الخامسة

وهي عقبة البواعث ثم عليك يا أخي بالسير إذ استقام لك الطريق
وسهلت السبيل وانقطعت العلائق وزالت العوارض ولا يحصل
لك السير المستقيم إلا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما
حقهما على حدهما أما الخوف فإنه يجب التزامه لأمرين أحدهما
للزجر عن المعاصي فإن هذه النفس لطاغية بالسوء ميالة إلى الشر
طامحة إلى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك إلا بتخويف عظيم وتهديد بالغ
وليست هي في طبعها حرة يحملها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء
إنما هي كما قال القائل العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة
والتدبير في أمرها أن تقرعها أبدا بسوط الخوف والتخويف قولا وفعلا
وفكرا ولقد ذكر عن بعض الصالحين أن نفسه دعته إلى معصية
فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه
ذوقي فنار جهنم أشد حرا من هذه أجيفة بالليل بطالة بالنهار
والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تعيبها بالذم والعيب
والنقص والأشواء والأوزار التي فيها ضروب الأخطار وذلك نحو
ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أخذت أنا وعيسى أخذنا
بما كسبت هاتان يعني الإصبعين لعذبنا عذابا لم يعذبه أحد وأشار بإصبعيه
وعن الحسن أنه كان يقول ما يؤمن أحدنا أن يكون قد أصاب ذنبا
وطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك
أنه يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات إن للجنة قوما آخرين ولهم أعمال
غير ما تعملين فهذه وأمثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها
عليها لئلا تعجب بطاعته أو يقع في معصية وبالله التوفيق
وأما الرجاء فإنما يلزمك استشعاره لأمرين أحدهما للبعث على الطاعات
وذلك لأن الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى إلى ضده داع
وحال أهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع مشاهد
والثواب الذي يطلب به عن العين غائب والوصول إليه فيما
يحسبه بعيد وإذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس
للخير ولا تنشط له ولا تتهيأ له إلا بأمر يقابل هذه الموانع ويساويها
بل يزيد عليها وذلك الأمر هو الرجاء القوي في رحمة الله تعالى والترغيب
البالغ في حسن ثوابه وكريم أجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع

عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر
الموت يزهد في الفضول والتأني يهون عليك احتمال الشدائد
والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل
ومن طاب له شيء ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما
يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته
حتى انه ليجد بتلك المحنة ضروبا من اللذة الا ترى ان مشتار العسل
لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبأ
بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصائف
المديد لما يتذكر من اخذ الدرهمين في العشاء وان الفلاح لا يفكر
لمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشغل والكد طول السنة
لما يتذكر من البيدر اوان الغلة فكذلك اخي العباد الذين هم اهل
الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب عيشها وانواع نعيمها
من قصورها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها
وسائر ما اعد الله لاهلها هان عليهم ما احتملوه من تعب عبادة
او نالهم في الدنيا من ذل او نقمة او نالهم من ضيق ومشقة ولقد
حكى ان اصحاب سفيان الثوري رحمه الله كلموه فيما كانوا يرون
من تخوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت
من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله فقال سفيان رحمه الله
كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم

فيجلي لهم نور تضيء له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور
من الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينادون ان ارفعوا رؤوسكم
ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها
ثم انشأ يقول

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ... ماذا تحمل من بؤس واقتار
تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا ... الى المساجد يمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار ... قد حان ان تقبلي من بعد ادبار

قلت انا واذا كان مدار العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء
عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب
وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد
يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما تضرب
بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتخلص
مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمضي الى الكتاب الا بترجية من
الوالدين وتخويف من المعلم وكذلك هذه النفس دابة حرون
وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها
وقائدها وانها كالصبي العرم يحمل الى كتاب العبادة والقول
تذكر النار والعقاب تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته
وترغيبه وكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة
ان يشعر النفس بالامرين اللذين هما الخوف والرجاء والا فلا
تساعد النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر

الحكيم بمجموع الأمرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وأبلغ في كل واحد
منهما فيذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الأليم
ما لا صبر عليه فعليك إذاً بالتزام هذين المعنيين ليحصل لك المراد
ويسهل عليك احتمال المشقة والله ولي التوفيق فإن قلت
فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم أن الخوف والرجاء
عند علمائنا رحمهم الله يرجعان إلى قبيل الخواطر وإنما المقدور
للعبد مقدماتهما أما الخوف فرعدة تحدث في القلب عن
ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي ضربا
من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجرأة ولكن يقابل بالأمن
يقال خائف وآمن ونخوف وأمن لأن الآمن هو الذي يجترئ على الله
والحقيقة أن الجرأة تضاده ومقدمات الخوف أربع الأولى ذكر الذنوب
الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا إلى المظالم
وأنت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة
الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها
والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء وأما الرجاء
فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعالى واسترواحه إلى سعة
رحمة الله ثم هذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء
هو مقدور وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد يسمى أيضا
إرادة المخاطرة بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب

هو الأول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضد الرجاء اليأس وهو تذكر
فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محض وهذا الرجاء
فرض لازم لم يكن للعبد سبيل إلى الامتناع عن اليأس إلا به وإلا فهو نفل بعد
اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات الرجاء أربع الأولى
ذكر سوابق فضله إليك من غير قدم أو شفيع والثانية ذكر ما وعد
من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاق
إياه بالفعل إذ لو كان على حسب الفعل لكان أقل شيء وأصغر
أمر والثالثة ذكر كثرة نعمه عليك في أمر دينك ودنياك في الحال من
أنواع الأمداد والألطاف من غير استحقاق أو سؤال والرابعة
ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وأنه الرحمن الرحيم الغني
الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فإذا واظبت على هذين النوعين
من الأذكار أفضينا بك إلى استشعار الخوف والرجاء بكل حال
والله تعالى ولي التوفيق فصل فعليك أيها الرجل بقطع
هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فإنها عقبة
دقيقة المسلك خطيرة الطريق وذلك لأن طريقها بين طريقين
مخوفين مهلكين أحدهما طريق الأمن والثاني طريق اليأس وطريق
الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين فإن
غلب الرجاء عليك حتى فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الأمن
ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وإن غلب الخوف حتى فقدت

الرجاء البتة وقعت في طريق الياس ولا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون فان ركبت بين الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا
فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله واصفيائه الذين
وصفهم الله بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة
طرق ثلثة طريق الامن والجرأة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف
والرجاء ممتد بينهما فالطريق العدل بينهما فان ملت عنه بقدم الى
يمينك او يسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين
ثم الشان في ان الطريقين الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر
دواعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من
جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده
ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان نظرت
من جانب الخوف رايت من سياسة الله تعالى وكثرة هيبته
ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد
يبقى معه رجاء فتياس بمرة وتقنط فتحتاج اذا ان لا تنظر
الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة
والمناقشة فقط حتى تقنط وتياس بل تنظر الى هذه
والى هذه جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما
طريقا دقيقا وتسلك ذلك تسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع

عريض وعاقبته تؤديك الى الامن والخسران وطريق الخوف
المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك الى الضلال والطريق العدل
بينهما طريق الخوف والرجاء وان كان دقيقا عسيرا فانه سبيل
سالم ومنهج بين يؤدي الى المغفرة والاحسان ثم الى الجنان
والرضوان ولقاء الملك الرحمن اما تسمع قوله في ابناء هذا السبيل
يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين جزاء بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه
للامر فانه لا يجيء بالهوينا والله الموفق ثم اعلم انه ابتاء لك
سلوك هذه الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة
على الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات
الثقيلة عليها الا بالتحفظ بثلثة اصول والتذكر لها على سبيل
الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر اقواله سبحانه في الترغيب
والترهيب والثانية ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو
والثالثة ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجلها
صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات
توقفك على المقصود ان شاء الله الاصل الاول تدبر
ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من آيات الترغيب والترهيب
والترجية والتخويف فمن آيات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله

إن الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب إلا الله غافر الذنب
وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكاة إن الله بالناس لرؤوف رحيم
وكان بالمؤمنين رحيما فهذه ونحوها آيات الرجاء ومن آيات الخوف
والسياسة قوله تعالى يا عباد فاتقون أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون أيحسب الإنسان أن يترك سدى ليس
بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
نسأل الله تعالى أن يسلمنا برحمته ومن الآيات اللطيفة
الجامعة بين الخوف والرجاء قوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم
ثم قال في عقبه وأن عذابي هو العذاب الأليم لئلا يستولي
عليك الرجاء بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقبه ذي الطول
لئلا يستولي عليك الخوف بمرة وأعجب من ذلك قوله ويحذركم
الله نفسه ثم قال في عقبه رؤوف بالعباد وأعجب منه
قوله من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار
والمنتقم والمتكبر ونحوه ليكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا
يكون الخشية تطير قلبك بمرة فيكون نحو غاية التأميل وتحريكا

في تسكين كما تقول أما تخشى الوالدة الرحيمة أما تخاف الوالد
الشفيق أما تحذر الأمير الكريم والمراد من ذلك أن يكون الطريق
عدلا فلا تذهب إلى أمن ولا قنوط جعلنا الله وإياكم من المتدبرين
لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه إنه هو الجواد الكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
الثاني في أفعاله ومعاملاته أما من جانب الغير فإن إبليس لعنه الله
عبد ثمانين ألف سنة فلم يترك فيما قيل موضع قدم إلا وسجد
لله تعالى فيه سجدة ثم ترك له أمرا واحدا فطرد عن بابه وضرب
بوجهه عبادة ثمانين ألف سنة ولعنه إلى يوم الدين وأعد له عذابا
أليما أبد الآبدين حتى روي أن الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه
رأى جبرئيل متعلقا بأستار الكعبة وهو ينادي بصراخ إلهي لا تغير
اسمي ولا تبدل جسمي ثم إن آدم صلوات الله عليه صفيه ونجيه
الذي خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم إلى جواره
وانبسط فأكل أكلة واحدة لم يؤذن فيها فنودي فنودي ألا لا تجاورني
من عصاني وأمر الملائكة الذين حملوا سريره يزعجوه من سمائه
إلى سماء حتى أوقعوه بالأرض ولم يقبل توبته فيما روي حتى بكى
على ذلك مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته
في تبعات ذلك على الأبد ثم إن نوحا عليه السلام شيخ المرسلين
صلوات الله عليهم أجمعين الذي احتمل في أمر دينه ما احتمل لم يقل
إلا كلمة واحدة على غير وجهها إذ نودي فلا تسألن ما ليس لك

به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الأخبار
أنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى أربعين سنة ثم إن إبرهيم
خليل الله لم يكن منه إلا هفوة واحدة فلم خاف وتضرع وقال
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي أنه كان يسمع من
شدة الخوف فيرسل الله تعالى إليه جبرئيل عليه أفضل السلام
فيقول يا إبرهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول
يا جبرئيل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران
صلى الله عليه وسلم لم تكن منه إلا لطمة عن حدة ثم خاف وتضرع واستغفر
وقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا
كان بحيث إذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ولم يقل آتيناه آية واحدة
وإنها ميلة واحدة وترك لمولى من أوليائه حرمة واحدة سلبه
معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب
إلى الآبد حتى سمعت بعض العلماء يقول إنه كان في أول الأمر بحيث
يكون في مجلسه اثني عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه
ثم صار بحيث كان أول من صنف كتابا أن ليس للعالم صانع
نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه الأليم وقطيعة خذلانه
الذي لا طاقة لنا به فانظر حيث الدنيا وشؤمها كما في الخلد للعلماء
خاصة فتنبه فإن الأمر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير

والنار قد نصبت فإن ختم بالخير أعمالنا وإلا فالعار تنافر ذلك عليه
بعسير ثم إن داود عليه السلم خليفته في أرضه أذنب ذنبا واحدا
فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الأرض من دموعه وقال إلهي أما
ترحم بكائي وتضرعي فأجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك
فلم يقبل توبته أربعين يوما وقيل أربعين سنة ثم يونس عليه السلم غضب
غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحار
أربعين يوما وهو ينادي أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وسمعت
الملائكة صوته فقالوا إلهنا وسيدنا صوت معروف في موضع مجهول
قال الله تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله
غير اسمه فقال وذا النون فنسبه إلى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون
ثم ذكر نعمته ومنته فقال لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم ثم فانظر إلى هذه السياسة أيها المسكين وقال الله تعالى
له فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير
حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها قيل عنى هذه
الآية وأشكالها في القرآن وقال الله واستغفر لذنبك وقال ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وكان
بعد ذلك عليه السلم يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون أتفعل هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول أفلا أكون

عبداً شكوراً وكان عليه السلام يقول لو أني وعيسى أخذنا بما كسبت هاتان
لعذبنا عذاباً أليماً لم يعذبه أحد من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول
أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي
ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير قرن من
خير الأمم كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى ألم يأن للذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية ثم وضع في هذه الأمة مع كونها مرحومة
الحدود والسياسات العظيمة والأدبات حتى كان يونس بن عبيد يقول لأن أبان
وقطع من خمسة دراهم خير عضو منك لم يكن عذابه هكذا غدا
نسأل الله تعالى الكريم الرحيم سبحانه أن لا يعاملنا إلا بمحض كرمه إنه أرحم الراحمين
وأما جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف
غايتها أو يحسن وصفها فإنه الذي يهب لكفر سبعين سنة بإيمان ساعة
قال تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف أما ترى
في أمر سحرة فرعون الذين جاؤوا به وحلفوا بعزة فرعون ثم قالوا آمنا
عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف
جعلهم رؤوس الشهداء في الجنة أبد الآبدين فهذا مع من عبد ووحد
ساعة واحدة بعد كل ذلك الكفر والضلال والفساد فكيف حال
من أفنى في توحيده عمره لا يرى لذلك أهلاً في الدارين غيره أما ترى
أصحاب الكهف وقد كانوا عليه من الكفر طول أعمارهم إذ قالوا ربنا
رب السماوات والأرض والتجؤوا إليه كيف قبلهم ثم أعزهم وأكرمهم

نفعهم ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط وكيف أعظم
لهم الحرمة والنسبة المهابة والحشمة حتى يقول لأكرم الخلق عليه لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً بل كيف أكرم كلباً تبعهم حتى
ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا مجيباً ويدخله الجنة
في الآخرة ملكاً فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه
ووحدوه أياماً معدودة من غير عبادة وخدمة فكيف فضله مع عبد
المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة ولو عاش سبعين ألف سنة
كان قاصداً للعبودية أما سمعت كيف عاتب إبراهيم في دعائه على المجرمين
بالهلاك وكيف عاتب موسى في أن استغاث بك قارون فلم تغثه
فوعزتي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس
في شأن قومه بأنك تحزن على شجرة يقطين أنبتها في ساعة وأيبستها
في ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف
عذابه العظيم عنهم بعدما أظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي
أنه دخل من باب بني شيبة فرأى قوماً يضحكون فقال لهم تضحكون لا أراكم
تضحكون حتى إذا كان عند الحجر رجع إليهم القهقرى فقال جاءني
جبريل فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي
نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله أرحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور
عن النبي عليه السلام إن لله تبارك وتعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن

والإنس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادّخر منها تسعة
وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة واذ قد اعطاك من الرحمة
الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون
من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى سائر ما لديك من النعم
الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدا
بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل لك من تسعة وتسعين رحمة لك الحظ الوافر
نسأل الله سبحانه ان لا يخيب آمالنا في فضله العظيم بفضله انه السيد
الكريم الجواد الرحيم **الاصل** الثالث في ذكر ما وعد واوعد العباد
فلنذكر في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار
وما في كل مقام منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين
اما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن ابن شبرمة انه قال
دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به وعنده رجل يلقنه
لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض وقال ان تلقني او لم تلقني
فاني لا ادعها ثم قرأ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا **والآخر** ما حكي
للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال
يا استاذ لا تقرأ هذه فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها
لاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين
يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب الى جهنم فقال بأي شيء

90

نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتي فقال بثلاثة اشياء **اولها**
بالنميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك **والثاني** بالحسد حسدت
اصحابي **والثالث** كان بي علة فجئت الى طبيب فسألته عنها فقال تشرب
في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل يبقى بك العلة فكنت اشرب به
نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين آخرين احدهما
ما يحكى عن عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه انه لما احتضر نظر الى السماء
فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت الامام الحميد رحمه الله
يحكي عن الاستاذ ابي بكر رحمه الله انه قال كان لي صاحب ايام التعلم وكان
وهو مبتدئا كثير الجهد في التعلم تعبا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد
الا القليل وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بنزاله ولياليه في الرباط
ولم يدخل الى بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتدت به
الحال وانا حاضر فبينا هو اذ شخص ببصره الى السماء ثم قال لي
يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله
والآخر نحو ما روي عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على جار له
يحتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود
عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال
بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل
فقال ما يزداد الامر علي الا عظما **واما القبر** والحال بعد الموت
فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكره بعض الصالحين قال رأيت

سفين الثوري في النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض
عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفين فانشا يقول

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد

والرجل الثاني ما ذكر ان بعضهم راه في النوم شاحب اللون مغلولة
يده الى عنقه فقيل له ما فعل الله تعالى بك فانشا يقول

تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب

وحال الاخرين
احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد
فلم اره في المنام الا الليلة توفي عمر بن عبد العزيز
اذ رايته تلك الليلة فقلت يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني
استشهدت وانا حي عند الله تعالى ارزق فقلت ما جاء بك فقال
نودي في اهل السما الا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد
الا وحضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة ثم
جئتكم لاسلم عليكم والثاني ما روي عن هشام بن حسان انه
قال مات لي ابن حدث فرايته في المنام فاذا هو شيب فقلت يا بني
ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه

زفرة لم يبق احد منا الا شاب نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم
واحوال القيامة فتامل قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا
البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات
النعيم لا يخلو من عز ان يمشي الى الجنة برجله واخر
يخرج من قبره فاذا الزبانية والاغلال والانكال لا يخلون الشقي ان يمشي
الى النار برجله بل يسحب الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله
من سخطه ولقد سمعت بعض علمائنا يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها
لها اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيمة حتى اتوا على حيطان
الجنة فاذا راتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون
ما ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فياتيهم بعض الملائكة
فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد
صلى الله عليه وسلم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون
لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرأتم كتبكم
فيقولون لا فيقول الملائكة لهم ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون
هل اعطيتمونا شيئا فتحاسبونا عليه وفي خبر اخر ما ملكنا
فنعدل ونجور ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي
مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم

أو ما تسمع قوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيمة
فأعظم برجل يشاهد تلك الأهوال والزلازل والوقائع وهو آمن
لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله تعالى أن يجعلنا
وإياكم من أولئك السعداء وما ذلك على الله بعزيز ذكر الجنة والنار
فنتأمل فيهما آيتين من كتاب الله عز وجل إحديهما قوله تعالى وسقيهم
ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
وفي حكاية عن أهل النار ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون
قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وروي أنهم يصيرون عند ذلك كلابا
يتعاوون في النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الأليم فكان
الأمر كما قال يحيى بن معاذ رحمه الله لا ندري أي المصيبتين أعظم
فوت الجنان أم دخول النيران أما الجنة فلا صبر عنها وأما النار
فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم
ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في الخلود إذ لو كان على
حال منقطعا لكان الأمر هينا لكن الشأن في أبد بلا آخر فأي
قلب يحتمل ذلك وأي نفس تصبر على ذلك ولذلك قال عيسى عليه السلام
ذكر الخالدين يقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن أن آخر
من يخرج من النار رجل يقال له هناد يعذب ألف عام ينادي
يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا
منه فقال ويحكم أليس يوما يخرج قلت فمرجع الأمر كله إذا

إلى أصل ذلك وهي النكتة التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه
وتقطع القلوب وتذيب الأكباد وتدمي العيون من العباد
وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي خوف الخائفين
ويبكي عليها أعين الباكين ولقد قال بعضهم الغموم ثلثة
غم الطاعة أن لا تقبل وغم المعاصي أن لا تغفر وغم المعرفة أن تسلب
وقال المخلصون بل الغم كله واحد بالحقيقة وهو غم المعرفة
وكل غم دونه جلل إذ له انقضاء لقد بلغنا عن يوسف بن أسباط
رحمه الله أنه قال دخلت على سفين فبكى ليلة أجمع فقلت بكاؤك
هذا على الذنوب فقال حمل تبنا وقال الذنوب أهون على
الله من هذا إنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام نسأل الله
ربنا المنان أن لا يبتلينا بمصيبة وأن يتم علينا بفضله
لكن نعمته وأن يتوفانا على ملة الإسلام إنه أرحم الراحمين وقد
ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومحنا هاهنا في كتاب إحياء علوم الدين
فتأمله هناك فإن الخوض فيه ما هنا خارج إلى الإكثار
فتأمل معنى الجملة فإن التفصيل الشرح لا يأتي عليه العمر
والأزل لعلك تفلح إن شاء الله بعون الله وحسن توفيقه
فإن قلت فأي الطريقين أسلك طريق الخوف أم طريق الرجاء
أقول لك بل المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجاء صار
مرجئا بل ربما يخاف عليه أن يصير مرجئا ومن غلب عليه الخوف

صار حروريا والمراد انه لا ينفرد باحدهما دون الآخر فان بالحقيقة الرجاء
الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء
ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل
الرجاء لا الياس فان قلت فهل يكون احدهما ارجح والاكثر
ذكرا عادة فاعلم انه العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى به
واذا مرض وضعف لاسيما اذا اشرف على الآخرة فالرجاء اولى به كذا
سمعت العلماء يقولون قلت وذلك لما روي ان الله تعالى يقول
انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك
الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان
ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاءت
الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله والترغيب في ذلك فاعلم ان من
حسن الظن بالله الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته
اصلا اصيلا ونكتة يغلط فيها الكثير من الناس ونقول ان الفرق بين الرجاء والامنية
ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله
من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه
مائة قفيز فذلك منه رجاء وآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب
ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي
مائة قفيز فيقال له من اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل
فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن معصية الله

يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم
الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل
وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ولا رضاه
ووعده ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من النار
فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطأ
وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وفي ذلك يقول الحسن البصري
ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة
يقول اني لحسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن له
العمل ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم
من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت
اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة
فغضب وقال هل رايت ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب
من المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال
والاولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية
فايش يقول اما كان لهم حسن الظن بالله بلى فانهم كانوا اعلم بسعة
رحمة الله تعالى واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون
الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم وانتبه من نومك

من ربك والله تعالى ولي التوفيق **فصل** وجملة الامر انك اذا تذكرت
سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء ثم لمثل هذه الامة المرحومة الكريمة
على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عفوه ازكى بسم الله
ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة
لك وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة
غضبه الذي لا يقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك
مع دقة امره وخطر معاملته ثم احاطة علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم
حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوصاف وشدة وعيده واليم عقابه
الذي لا يحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة
تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها تاتيك
بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد
وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين
ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج العدل فلا تهلكك برودة الرجاء
الصرف او حرارة الخوف الصرف فكأنك قد وصلت الى المقصود
غانما وشفيت من العلتين سالما ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة
واديت في الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي
والمخازي وهجرتها بمرة كما قال نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه
واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين
الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا

رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة
باذن الله وحسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر كريم
واجر عظيم في العقبى والله تعالى مسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه
وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة السادسة وهي عقبة القوادح ثم عليك يا اخي ايدك الله
وايانا بحسن توفيقه بعد ما تبين لك السبيل واستقام لك المسير
بتنقية عملك وصيانته عما يفسده ويضيعه عليك وانما تحصل ذلك باقامة
الاخلاص وذكر المنة اما الاخلاص فلامرين احدهما لما في فعله من الفوائد وهو
القبول من الله تعالى ووفور الثواب عليه والاخر لما في فقده من ذهاب الثواب
كلا او بعضا على ما روي في الحديث المشهور عن النبي عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى
يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فاشرك فيه غيري فنصيبي له
اني لا اقبل الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة
اذا التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم تكن الرئيس في الدنيا
الم نرخص بيعك وشرائك الم نكرمك وهذا واشباهه من الخطر والفرق قلت
من خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحديهما فضيحة السر وهي اليوم
على رؤوس الملائكة وذلك ما روي ان الملائكة تصعد بعمل العبد مبتهجين به فيقول الله
تعالى ردوه الى سجين فانه لم يردني به فيفتضح ذلك العمل والعبد
والثانية فضيحة العلانية وهي يوم القيمة على رؤوس الخلائق والاشهاد
عن النبي عليه السلام ان المرائي يوم القيمة ينادى باربعة اسماء يا كافر يا فاجر
يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك التمس الاجر ممن

كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادي مناد يوم القيمة يسمع الخلائق اين الذين كانوا
يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شيء ولا
المصيبتان فاحدهما فوت الجنة وذلك لما روي عن النبي عليه السلم ان الجنة تكلمت
وقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل
يبخل باقبح بخل وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المرائي يرائي
باقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بتوحيده وايمانه وفي هذا القول ترجية
والثاني انه لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه ففيه خطر ان يلحقه
شؤم ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنة راسا والعياذ بالله والمصيبة
الثانية دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلم
ان اول من يدعى يوم القيمة رجل قد جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله
تعالى ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولي
فيقول بلى يا رب فيقول له فما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل
والنهار فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى
بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال
فيقول الله الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب
فيقول فما عملت فيما اتيتك فيقول كنت اصل الرحم واتصدق لوجهك
فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد
فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله ما فعلت فيقول
امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله سبحانه كذبت
ويقول الملائكة كذبت ويقول الله سبحانه وتعالى بل اردت ان يقال فلان جريء

فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتي وقال
يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النار واهلها يعجون من اهل
الرياء قيل يا رسول الله كيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها
وفي هذه الفضائح بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله فان
قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم
ان الاخلاص عند علمائنا رحمهم الله اخلاصان اخلاص العمل لله واخلاص
طلب الاجر فاما اخلاص العمل لله فهو ارادة التقرب الى الله عز وجل
وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص
النفاق وهو التقرب الى من دون الله سبحانه وقال شيخنا رحمه الله تعالى هو الاعتقاد
الفاسد الذي هو للمنافق في الله وليس هو من قبيل الارادات لعلة
ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الاخرة
بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول انه ارادة نفع الاخرة بعمل خير [illegible]
جزاء بحيث ترجى به تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال
الحواريون لعيسى عليه السلم ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب
ان يحمده عليه احد وهذا التعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى
الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد رحمه الله عليه الاخلاص تصفية
الاعمال من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان
الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة

والفائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين والآخرين
محمد صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم
تستقيم في عبادته كما امرت ان لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر
وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ثم
الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض ان تريد به نفع الدنيا لا غير
والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الآخرة هذا احدهما وأما
تأثيرها فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر
ان يجعله مقبولا وافر الاجر والتعظيم والنفاق الذي يحبط العمل ويخرجه
عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله فالرياء المحض لا يكون من العارف
عند بعض العلماء ولا يبطل نصف الثواب وعند آخرين قد يكون الرياء
المحض من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب بربع
الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف
مع تذكر الآخرة ويكون مع السهو والمختار ان لا تأثير للرياء في رفع القبول
والنقصان في الثواب ولا تقدير لنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل يطول
وقد شرحناها في كتاب الإحياء مستقصى واشبعنا القول في اسرار معاملة
الدين فان قلت فما معنى موضع الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم
ان الاعمال عند بعض العلماء ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات
الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منهما وهو الاعمال الباطنة الاصلية

وقسم يقع فيه طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة
قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله من العبادات الاصلية يقع
فيه اخلاص العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها اخلاص العمل وهو
اخلاص طلب الاجر فقال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات الباطنة التي لا يطلع عليها
احد الا الله فامتنع منها دواعي الرياء فلم تحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا
يقول اذا اراد الفيض من الله بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو ايضا رياء قلت
انا ولا يبعد اذا ان يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك
النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعا عند الشروع فيها واما المباحات
المأخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هي
لا تصلح ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان قلت هذا موضعهما
فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه
لا محالة ولا يتأخر عنه واما اخلاص طلب الاجر فربما يتأخر عنه وعند بعض
العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ عن اخلاص او رياء
فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند عبد الله من مشايخ الكرامية
ما لم ينل المنفعة المطلوبة من الرياء يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل
فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة
الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى ذلك فيهما
قال والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة فما يحصل منه التقصير
والتفضل فيهما قلت النفل فالعبد الذي ادخل نفسه فيه وتكلف خطوب بحق ما تكلف نعم

فيمكنه الابتداء الى ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرناها والمقصود من
نقل مذاهب الناس في هذه الدقائق تعليمنا الآن بقلة العاملين وقلة الرغبة
في سلوك هذه الطريق والتقريب على المبتدئ في العبادة فان لم تجد
لعلتيه دواء فخذ هذا القول وجد في الآخر لاختلاف الاغراض وعلل الاعمال وآفاتها
فافهم راشدا ان شاء الله فان قلت أكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه
قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز تناول الاخلاص
بجملة من العبادات فالعمل ذو الاركان كالصلاة والوضوء والصيام يكفيها اخلاص
واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت
ان اراد بعمله الخير ثواب الله تعالى ولا يريد من الناس شيئا من مدحة او سمعة
او منفعة الا يكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله
الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي يراد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا
دنيويا فانه رياء سواء اردته من الله او من الناس قال الله تعالى ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب فليس الاعتبار بلفظة
الرياء واشتقاقها من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا
الاسم لانها اكثر ما تقع يكون من قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان قلت
اذا كان القصد في الدنيا التي تريدها من الله تعالى التعفف عن الناس
والعون على عبادة الله تعالى الا يكون ذلك رياء فاعلم ان التعفف ليس
لكثرة المال والحطام انما هو في القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه وكذا العون
على عبادة الله تعالى فاذا كان مرادك ذلك فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل

بامر الآخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك فان اريد بعمل الخير من النوع لا يكون
تلك الارادة رياء لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا وتصير في حكم اعمال الآخرة
ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس
او محبة عند المشايخ والائمة بكونه قصدك من ذلك التمكن من تأييد مذهب الحق
او الرد على اهل البدع والنشر للعلم او حض الناس على العبادة ونحو
ذلك دون ان تقصد بذلك شرف نفسك من حيث هي او دنياك فان هذه
كلها ارادات سديدة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء والمقصود
منها امر الآخرة بالحقيقة واعلم اني سألت بعض مشايخنا عما يختاره اولياؤنا
من قراءة سورة الواقعة في ايام العسر اليس المراد بذلك ان يدفع الله تعالى تلك
الشدة عنهم ويوسع عليهم شيئا من الدنيا على ما جرت به العادة فكيف يصح
ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان المراد
منهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى
وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان
هذه السيرة اعني قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة
انما هو شيء وردت به الاخبار والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة حتى ان ابن
مسعود رضي الله عنه حين عوتب في امر ولده اذ لم يترك لهم الدنيا قال لقد
خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة جرت هذه الخصلة
في سير علمائنا رحمهم الله والا فما كانوا يبالون بحمد الله تعالى بشيء في امر الدنيا او سعتها
وعسرها ويتغافلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله منة عظيمة ويخافون

إذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يعدها أكثر الناس إلا الضيق والشدة
يقولون الجوع رأس مالنا فهذا
نوع من مذهب أهل التصوف وهو مذهبي ومذهب أستاذي أشياخي وبذلك
جرت سيرة سلفنا رحمهم الله وإنما تقصيت بعض المتأخرين فلا معتبر به
وإنما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر فيه من لا يفقه الأمة بمقاصد القوم
في أمورهم أو يغلط فيهم من ليس بسليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه
فيقول كيف يليق هذا بحال أهل الزهد والتجرد وأرباب الصبر
والرياضة ولم يعلم أن هذا شيء مأخوذ من السنة ثم المقصود جعل يكون
القناعة والعدم لا اتباع الشره والشهوة أو الضعف عن احتمال العسر
والشدة والله تعالى بما يترتب عقيب ذلك قناعة في القلب وفقد كلب الجوع
وضعفه وسلوه عن الطعام وهمته على ذلك من أمنيته فاعلم هذه
الجملة موفقا إن شاء الله

القادح الثاني

العجب وإنما يكون ملك
اجتنابه لأمرين أحدهما أنه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فإن
المعجب مخذول وإذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يهلك
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
وإعجاب المرء بنفسه والثاني أنه يفسد العمل الصالح ولذلك
قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج أطفأته الريح
وكم من عابد أفسده العجب وإذا كان المقصود والفائدة العبادة
الخير وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فإن حصل

فقليل من ذلك يفسد حتى لا يبقى بيده شيء فحقيق أن يحذر من ذلك ويتحفظ
والله تعالى ولي التوفيق والعصمة فإن قلت فما حقيقة العجب
ومعناه وما تأثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم أن حقيقة العجب استعظام
العمل الصالح وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله أن ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح بشيء دون الله أو الناس أو النفس قالوا وقد يكون العجب
مثلثا بأن تذكر ذلك من هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشيء
ومثنى بأن تذكر من اثنين وموحدا بأن تذكر من واحد وضد العجب
ذكر المنة ومعناه أن تذكر أنه بتوفيق الله عز وجل وأنه الذي شرفه وعظم
ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعي العجب نفل في سائر الأوقات
وأما تأثير العجب في العمل قال بعض العلماء ينتظر الإحباط فإن تاب قبل
موته سلم من الإحباط وإليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية
والإحباط عنده أن يذهب عن العمل جميع الأسماء الحسنة حتى لا يبقى
بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفي قول غيره وهو مذهب أصحابنا لا غير
فإن قلت كيف يلتبس على العبد العارف أن الله تعالى هو الذي
وفق للعمل الصالح وعظم قدره وأكثر ثوابه بفضله ومنه فاعلم
أن ههنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهي أن الناس في العجب ثلاثة
أصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين
لا يرون لله عليهم منة في أفعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص
واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة

بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الأعمال وذلك لبصيرة
أكرموا بها وتأييد خصوا به والثالث المخلطون وهم عامة أهل
السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله وتارة يغفلون فيعجبون
وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة المعترضة في الاجتهاد والنقص في
البصيرة فإن قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في أفعالهم فاعلم
أن في ذلك اختلافا فقيل إنه يحبط لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط على
اعتقاد الجملة من فرق الإسلام حتى يخص كل عمل بإعجاب كما أن
اعتقاد أهل السنة لا يمنع العجب في كل عمل حتى يخصه بذكر المنة فإن
قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل قيل له أجل
إن فيه لقوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر لأنهما الأصل الذي يدور
عليهما معظم الباب وقال بعض المشايخ إنه يحتاج العبد إلى أن يحفظ
في العمل من عشرة أشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والأذى
والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر
شيخنا رحمه الله ضد كل خصلة منها وإضرارها بالعمل فضد النفاق الإخلاص
وضد الرياء إخلاص طلب الأجر وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل لله
تعالى وضد الأذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس
وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون
تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم أن النفاق
يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والأذى يحبطان الصدقة

أصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان أضعافها وأما الندامة
فإنها تحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب أضعاف العمل والحسرة
وخوف الملامة والندامة والتهاون يخفف العمل فيذهب رزانته قلت
فالقبول والرد عند التحصيل يرجعان إلى ضروب من التعظيم
والاستخفاف والإحباط إبطال منافع يكون بالفعل وبسببه
ثم تارة يكون إبطال الثواب وأخرى إبطال التضعيف والثواب
منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقرائنه وأحواله والتضعيف
زيادة على هذا والرزانة زيادة تحصل بمقتضى قرائن
وأحوال أخر كالإحسان إلى جيران أهل الخير ثم إلى الوالدين
ثم إلى بني الأنبياء ففي السر يكون رزانة ولا يكون تضعيفا فهذا تهذيب
ما تحققت في هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية
التحرز فإن صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات
وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من العبادة عزيزة
شريفة فإنه لا يخاف على بضاعته تلك إلا في هذه العقبة فإن فيها
مقاطع تحذر لئلا يسلب فيها بضاعته ومتالف تحذر أن يبيد منها
إذا أفسد عليه طاعته ثم أعظمها خطرا وأعمها وقوعا
هذان المقطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر في كل واحد منهما
أصولا مقنعة نحررها لك لعلك تكفى مؤنتهما بإذن الله تعالى

الاصل الاول الرياء اما الرياء الخ

اما الرياء فاذكر اولا قول الله سبحانه وتعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد
احاط بكل شيء علما كان الله سبحانه يقول اني خلقت السموات والارض
وما بينهما في كل هذه الصنائع والبدائع والتكفيت بين ذلك لتعلم اني قادر
عالم وانت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير فلا تكتفي
بنظري اليك وبعلمي بك وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق
ليمدحوك بذلك لا يكون ذلك وفاء لا يكون ذلك عقلا ترضاه لنفسك ويحك
افلا تعقل

الاصل الثاني

ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان يأخذ
من ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس اليس يكون ذلك خسرانا عظيما
وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة
دراية العقل فما تناله العبد بعمله من الخلق من مدحة وحطام الدنيا
بالاضافة الى رضى رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه اقل من فلس
في جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها والتي الا يكون
من الخسران المبين ان يفوت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة
بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد لك من هذه الخسيسة
فاقصد الاخرة يشغل الدنيا بل اطلب الرب جل وعلا يعطيك
الدارين اذ هو مالكهما جميعا وتلك قوله تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال علم الله تعالى ان يعطي
الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت
النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك الدنيا والاخرة جميعا وان انت

اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما تريد
وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والاخرة فتأمل ايها العاقل

الاصل الثالث

ان المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب
لو علم انك تعمل لاجله لابغضك وسخط عليك واستهانك واستخف بك
فكيف يعقل العاقل العمل لاجل من لو علم به انه يطلب رضاه يسخط عليه واهانه
فاعمل لمن اذا عملت لاجله وقصدته بعملك وطلبت رضاه
بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل وكفاك
فهذه مقدمة فاقطع بها ان كنت تعقل

الاصل الرابع

ان من
حصل له سعي يمكنه ان يكتسب به رضا اعظم ملك في الدنيا وطلب به رضا
كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي ومنو
وسوء الحظ وتقلل ما حاجتك الى رضا هذا الكناس مع امكان
من رضا الملك فكيف وقد سخط الكناس عليك بسببه سخط الملك فعانك
الكل فهذا احوال المرائي فان حاجته الى رضا مخلوق حقير ضعيف
مهين [illegible] متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي الكل فان
ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق فما له
فسبيلك ان تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله فان القلوب والنواصي
بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويحشر
الصدور فتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك وان لم تفعل
وقصدت بعملك رضا المخلوقين دونه سبحانه فانه يصرف عنك القلوب

ويَنفر عنك النفوس ويَسخط عليك الخلق فيحصل لك بهذا الأمر سخط الله
وسخط الناس جميعا فيا له من خسران وحرمان ولقد ذُكر عن الحسن انه
قال كان رجل يقول والله لأعبدن الله عبادة أُذكر بها فكان اول داخل في
المسجد وآخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة الا قائما يصلي وصائما
لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فلبث الى سبعة اشهر وكان لا يمر بقوم
الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه باللوم وقال اراني
في غير شيء لأجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل
قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون
رحم الله فلانا الآن قد اقبل على الخير ثم قرأ الحسن ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا لعل الله يحبهم ويحببهم
الى المؤمنين ولقد صدق القائل

يا مبتغي الحمد والثواب — في عمل تبتغي محالا
قد خيّب الله ذا رياء — وابطل السعي والكلالا
من كان يرجو لقاء ربه — اخلص من خوفه الفعالا
الخلد والنار في يديه — فراه يعطيك النوالا
والناس لا يملكون شيئا — فكيف رأيتهم ضلالا

واما العجب

فلتذكر فيه اصولا احدها ان يعلم العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله موقع الرضا
والا فترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك
اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل والنهار فيكون قيمة

ذلك دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله فصمت لله تعالى يوما قال الله
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا
يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له هذه القيمة
بتاخير غداء الى عشاء ولو قمت لله تعالى ليلة قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته
دانقان او درهمان صار له كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله ساعة
تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال تعالى ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك التي لا قيمة لها عند اهل
الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك بلا فائدة صار لها
كل هذا القدر لما انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدرها وكثر
قيمتها بفضله فحق اذا للعامل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره
من حيث هو وان لا يرى الا منة الله عليه فيها تشريفه عمله واعظم جزائه
وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع
الرضا فيذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل
من الثمن الحقير من دراهم او دوانيق او احقر واخس من ذلك ومثاله
ان العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق
دانقا فان اهداه واحد الى ملك ذي سماحة وهمة فوقع موقع الرضا

فيهب له على ذلك ألف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار ما قيمته
حبة بألف دينار فإذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع إلى قيمته الخسيسة
من حبة أو دانق فكذلك ما نحن فيه فتثبت والبصيرة الله يرضى فعلك عما يثمنه
عند الله عز وجل **الأصل الثامن** ما تعلم أن الملك في الدنيا إذا أجرى على أحد جائزة
من طعام أو كسوة أو دراهم أو دنانير معدودة فإنه يستخدمه بضروب
الخدمة آناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على
رأسه حتى تخدر رجلاه ويسعى بين يديه إذا ركب وربما يحتاج أن يكون
على بابه طول الليل حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج أن يقاتل عدوه
فيبذل روحه التي لا خلف عنها لأجله كل هذه الخدمة والكلفة
والخطر والضر لأجل تلك المنفعة القليلة الحقيرة مع أنها بالحقيقة من الله تعالى
وإنما هو بمنزلة سبب في ذلك فربك الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك
فأحسن التربية ثم أنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك
ودنياك ما لا تبلغ كنهه فهمك ووهمك قال عز من قائل وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ثم إنك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والآفات ووعد
عليهما أن يتقبل بحسن الثواب وضروب الكرامات حتى
تستعظم ذلك وتعجب فليس هذا من شأن عاقل إذا نظرت فهذه هذه
الأصل التاسع أن الملك الذي من شأنه أن تخدمه الملوك والأمراء
ويقوم على رأسه السادات والعظماء ويتولى خدمته الأنبياء والحكماء
ويطلب مدحته العقلاء والعلماء ويمشي بين يديه الأزكياء والرؤساء

إذا أذن لسوقي أو قروي بمقتضى رأفة وعناية له في بابه حتى زاحم أولئك
الملوك والسادات والأكابر والأفاضل في خدمته ومدحته وجعل له
مقاما من حضرته معلوما وينظر إلى خدمته بعين الرضا وإن كانت مشوشة
معيوبة أليس يقال له لقد كثرت على هذا الحقير المنة من الملك وعظمت
عنايته فإن أخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيوبة
ويستعظم ذلك ويعجب به أليس يقال إن ذلك لسفيه جدا أو مجنون لا يعقل
شيئا ولما تقرر هذا فإن إلهنا سبحانه وتعالى هو الملك الذي يسبح له السموات
السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده والمعبود الذي
يسجد له من في السموات والأرض طوعا وكرها من الخدم على بابه جبريل الأمين
وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون
وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم إلا رب العالمين بمنازلهم
الرفيعة وأنفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم بعدهم الذين خدموه
على بابه آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله
عليهم أجمعين في مراتبهم المنيعة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم
الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء الأئمة الأبرار والزهاد الأخيار
والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة وأبدانهم النقية الطاهرة
وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة وأذل الخدم على بابه
ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على الأذقان ساجدين يعفرون
الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم إليه باكين ضارعين

ويعترفون له بالعبودية والتقصير عابسين متخشعين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم
نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة دنيا وزعمهم بكرمه لك ثم في هذه العظمة
والجلال والملك والكمال قد اذن لك في حقارتك وعيوبك وانت الذي لو
استاذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن لك ولو كلمت امير ناحيتك فربما
لا يكلمك وان بحدث لسلطان بلاد من الارض فربما لا يلتفت اليك وقد
اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه بل تدل عليه بالمسألة
وتنابسطه فتستقضيه حاجتك وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى لعبتك
في صعايبها بل يعد من الثواب عليها ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك
تعجب بها بين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله تعالى
عليك في ذلك فما اسوأك من عبد وما اجهلك من انسان والله تعالى المستعان
واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه هذه

فصل وعلى وجه آخر الملك العظيم اذا اذن بادخال الهدايا
اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والرؤساء والتجار والاغنياء بالانواع من الهدايا
من الجواهر الثمينة والذخائر النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بقال بباقة
بقل او قروي بسلة عنب تساوي دانقا او حبة فيدخل في حضرته
ويزاحم اولئك الاكابر والاغنياء بهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا
الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضاء
ويأمر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا
الفقير يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك الا يكون

ان هذا المجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ الادب عظيم الجهل فالآن انك
اذا قمت ليلة وصليت ركعات فاذا فرغت تتفكر كم قام لله تعالى في هذه
الليلة من الخلق في اقطار الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف
المتقين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين المتضرعين
وكم حضر في هذه الساعة بباب الله تعالى من عباد صافية وخدمة
خالصة عن انفس خاشعة والسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة
وصدور نقية واركان تقية وصلواتك ان كنت بذلت المجهود في تحسينها
وتصحيحها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم ولا تليق بجنب
تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت من قلب غافل مختلط
بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع
المعصية والفضول فكيف يصلح هذا ان يحمل الى تلك الحضرة وكيف
يستاهل ان يهدى الى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر ايها الغافل
هل وجهت قط صلوة من صلواتك الى السماء كالتي بعثتها الى بيوت الاغنياء وقد كان ابو بكر
الوراق يقول ما فرغت من صلوة الا استحييت حين فرغت منها اشد من حياء امرأة فرغت
من الزنا ثم ان الرب الكريم بنيته بمحض فضله وكرمه عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليهما من جزيل
الثواب ما وعد وانت عملت وفي جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه
وتيسيره
ثم مع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله عليك بهذا وانه
لا عجب العجب الا يكاد يذهب مثله الا عن جاهل لا عقل له وغافل لا ذهن له

فصل

او قلب ميت خاف الاخيرية فهذه مهمة نسأل الله حسن الكفاية بمنه وفضله
ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ رحمك الله ايها الرجل في هذه العقبة ان لم تكن من
الخاسرين فان هذه العقبة اشد واشق وامر عقبة استقبلتك في هذا الطريق
اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان كانت
الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشأن كله
انه قد يجتمع في هذه العقبة مهمات ثلثة امور الاول ان الامر دقيق جدا
والغبن شديد والخطر عظيم لدقة الامر فان مجاري الرياء والعجب
في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين
بصير يقظان القلب محترز وانى يطلع عليه الجاهل المغرور الغافل
النائم ولقد سمعت بعض علمائنا بنيسابور يحكي ان عطاء السلمي رحمه الله
عليه ورضوانه نسج ثوبا فاحكمه وحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه
فاستخصه البزاز وقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذ عطاء
وجلس يبكي بكاء شديدا فتندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له
في ثمنه ما يريد فقال عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة
وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب
فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا كثيرا كنت عنها غافلا افكيف
اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الله رب العالمين كم يبدو فيها من العيوب
والآفات التي نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين قال [illegible] في وقت
سحر [illegible] غرفة لي شارع اقرأ سورة طه فلما ان ختمتها غفوت غفوة

فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها
سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني
رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى
لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها
الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها
فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت
بها صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه مهمة واما شأن الغبن فلان الرياء
والعجب آفة عظيمة تقع في لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي
ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق
لا الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية
فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ووجه آخر
في الغبن ان اقل طاعة سلمت عن هذا الرياء والعجب يكون لها من الله عز وجل
من القيمة ما لا نهاية له واكبر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت لا قيمة
لها الا ان يتداركها الله تعالى الا ترى ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال لا يقل عمل [illegible] وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعي عن
عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان
فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة صائما لا يفطر الا من سبت الى سبت
فطلب من الله حاجة فلم يقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك
اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله تعالى ملكا
فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت نفسك فيها خير من عبادتك التي مضت

مضت وقد قضيت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس من الغبن لو ان واحدا
يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة افضل من
سبعين سنة فخير اليس من الغبن العظيم انك تهمل من ساعة خير من سبعين سنة وتترك
ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن ولئن اغفلته لاشد خسرانا تلوث
الخصلة التي لها مثل هذه القيمة والخطر يجب ان تحذر وتجتنب ولمثل هذا
المعنى لما وقع نظر اولى الابصار من العباد في مثل هذه الدقائق واهتموا
لمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها والتحفظ عنها تركوا بلطفهم
كثرة الاعمال الظاهرة وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا
جوهرة واحدة خير من الف خرزة ولئن الذين قل علمهم وكان في هذا الباب نظرهم
جهلوا المعاني واغفلوا امر القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب
النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب وكون غرضهم
العدد والكثرة ولم ينظروا اما فيها من الحج والصفوة وما يغني عدد
الجوز ولا لب فيه وما ينفع رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل
هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون والله تعالى ولي الهداية
بفضله ولئن اعظم الخطر فمن وجوه احدها انك لا نهاية لجلاله وعظمته وله
عليك نعم لا تعد ولا تحصى وبدن معيوب بعيوب خفية موقف بآفات
كثيرة ولم تخوف ان وقعت فيها مع تنازع النفس فيحتاج الى ان يخرج
عملا صافيا سالما من بدن معيوب ونفس ميالة الى الشر امارة
بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه

ومتى يقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي
لا تسمح النفس بفوته بل ربما يصيبك منه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا
والله شان عظيم وخطب جسيم لان جلال الملك وعظمته بحيث ان
الملائكة المقربين الابرار قائمون له بالخدمة آناء الليل والنهار حتى
ان منهم من هو مذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم في ركوع ومنهم من هو في
سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه
ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ما دام به صور الى نفخة
الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين محمد وخير العالمين اعلم
الخلق وافضلهم صلى الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك يقول انا لا اقدر ان اثني عليك كما انت له اهل فضلا عن ان اعبدك
كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولان النعم والايادي
فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس
على ثلثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم
فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوفى الحسنة الا وفي بنعمة فتفنى الحسنات حتى
تبقى السيئات والذنوب فلله تعالى فيها المشيئة واما عيوب النفس
وآفاتها فقد قدمنا من صاحبها بابها والامر الخوف لان العبد يكدح ويتعب
سبعين سنة غافلا عن عيوبه وآفاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا

يتعب أعوامًا فيفسد بساعة واحدة وأعظم خطرًا من ذلك كله أنه ربما ينظر الله تعالى
إلى العبد وهو يرائي الناس بعبادته ويجد منه يجعل ظاهره لله وباطنه
وقلبه للخلق فيطرده طردًا لا مرد له والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلماء
يحكي عن الحسن البصري رحمه الله أنه رؤي في المنام بعد موته فسئل عن حاله
فقال أقامني الله بين يديه وقال يا حسن أتذكر يوم كنت تصلي في المسجد
إذ رمقك الناس بأبصارهم فزدت حسنًا في صلوتك فلولا أن أول صلوتك كان
لي خالصًا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة فلما كان الأمر
في الجملة في الدقة والصعوبة إلى حد عظيم نظر أولوا الأبصار فيه فخافوا
على أنفسهم حتى أن منهم من لا يلتفت إلى جميع ما يظهر للناس من أعماله
حتى حكي عن رابعة أنها قالت ما ظهر من أعمالي لا أعده شيئًا وقال آخر
اللهم حسناتك كما تكتم سيئاتك وآخر يقول يا إلهي إن أمكنك أن تجعل لك لتفعل
جنسًا من الخير فافعل ولقد حكي أنه قيل لرابعة بم ترجين أكثر ما ترجين فقالت بيأسي
من جميع عملي وحكي أنه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك إما طاعة
الله أو النار فقال محمد بن واسع إما رحمة الله أو النار فقال مالك ما أحوجني
إلى معلم مثلك وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله قال كابدت العبادة
ثلاثين سنة فرأيت قائلًا يقول لي يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادات إن أردت
الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الأستاذ أبا الحسن يحكي عن
الأستاذ أبي الفضل رحمهما الله أنه كان يقول إني أعلم أن ما أعمله من الطاعات
غير مقبولة عند الله تعالى فقيل له في ذلك فأجاب أني أعلم ما يحتاج إليه

الفعل حتى يكون مقبولًا وأعلم أني لست أقوم بذلك فعلمت أنها غير مقبولة
فقيل له لم تفعلها قال عسى أن يصلحني الله تعالى يومًا فتكون النفس متعودة
لعمل الخير فلا أحتاج أن أعودها ذلك من الرأس فهذه حالة عقلاء الأعلام
وذوي المجاهدات والأقدار فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم وقع الإياس وخابت الآمال

هيهات تدرك بالتواني سادة ... كدوا النفوس وساعد الإقبال

ثم إني رأيت أن أثبت ههنا الخبر المأثور عن الصادق المصدق محمد صلوات الله
وسلامه عليه وقد ذكرناه في غير كتاب روي عن ابن المبارك عن رجل أنه قال
لمعاذ حدثني حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته وذكرته
في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى طويلًا ثم قال واشوقاه
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى لقائه ثم قال بينا أنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ ركب وأردفني ثم سرنا فرفع بصره إلى السماء
وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين
قال أحدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك وإن ضيعته انقطعت حجتك عند الله
يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات لكل سماء
ملكًا وجعل على كل باب من أبواب السموات ملكًا بوابًا على قدر الباب
وجلاله فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى
إذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فإذا انتهى إلى الباب
قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي

أن لا أدع عمله من يغتاب الناس يجاوزني إلى غيري ثم تجيء الحفظة من الغد
معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى إذا انتهوا به إلى
السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد به
عرض الدنيا وأمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري فيلعنه الملائكة
حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير
من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فإذا انتهوا إلى السماء الثالثة قال الملك
البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا الملك صاحب الكبر أمرني
ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري فيه له
دوي من تسبيح وصوم وصلاة وحج وعمرة فإذا انتهوا إلى السماء الرابعة
قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا الملك
صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان
إذا عمل عملا أدخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد يزف كما يزف
العروس إلى أهلها حتى إذا انتهوا إلى السماء الخامسة بالعمل الحسن
من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك أنا الملك صاحب الحسد
إنه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله
أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وتصعد الملائكة بعمل
العبد بوضوء تام وصلاة كثيرة وصيام وحج وعمرة فيتجاوزون به
إلى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب أنا صاحب الرحمة اضربوا بهذا

العمل وجه صاحبه إنه كان لم يرحم قط إنسانا ولكن يصيب عبدا يشمت به أمرني
ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد
بنفقة كثيرة وصوم وصلاة واجتهاد وورع له صوت كصوت الرعد
وضوء كضوء البرق معها ثلاثة آلاف ملك فإذا انتهوا به إلى السماء
السابعة يقول الملك الموكل بالسماء السابعة أنا صاحب الذكر لكن صاحب
هذا العمل أراد به الذكر في المجالس والرفعة عند الأمراء والفخر
والجاه عند الكبراء أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري
وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي وتصعد الحفظة
الملائكة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن
وصمت وذكر الله عز وجل ويشيعه ملائكة السموات السبع حتى
يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يدي الرب جل جلاله
ويشهدون له بالعمل الخالص المخلص فيقول الله تعالى أنتم الحفظة
على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما في نفسه إنه لم يردني بهذا العمل
ولا أخلصه وأنا أعلم بما أراد بعمله عليه لعنتي غرّ الآدميين وغرّكم ولم يغرّني
وأنا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب المخفي على خافية
ولا يعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى
كعلمي بما بقي وعلمي بالأولين كعلمي بالآخرين أعلم السر وأخفى
فكيف يغرني عبدي بعمله إنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وأنا علام الغيوب عليه
لعنتي ويقول الملائكة السبعة والثلاثة آلاف والمشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا

يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم
ثم بكى معاذ وانتحب انتحابا شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت
قال يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ بن
جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك تقصير
فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك من حملة القرآن
خاصة وليردك عن الوقيعة في الناس ما تعلمه من عيوب نفسك
ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا تراء
بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا فتنسيك امر
الآخرة ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع
عنك خيرات الدنيا والآخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من
سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى
والناشطات نشطا فيقول تنزع اللحم عن العظم قلت يا رسول الله
من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك يسير على
من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب
لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت قال خالد بن
معدان وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة
هذا الحديث وذكره في مجلسه فلما سمعت ايها الرجل هذا
الحديث العظيم فائدة الكبير خطره الاليم اثره الذي يطير له

القلوب وتحير له العقول ويضيق من حمله الصدور وتجزع من هوله
النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال
والبكاء آناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لا نجاة
من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظره وعنايته
فتنبه من رقدة الغافلين وأعط الامر حقه وجاهد نفسك في هذه
العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والمستعان بالله تعالى على كل
حال فانه خير معين وهو تعالى ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم

فصل

وجملة الامر انك اذا احسنت النظر
ثم رأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت
اليهم بقلبك ولكن زاهدا في ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته
فلا تريد بها الرضا بطاعتك من الله تعالى وتقول يا نفس اثناء
رب العالمين وشكره واعزازه خير ام ثناء المخلوقين العاجزين
الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه
وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون عليك
من هو دون حالك بالف درجة ويضيعونك في احوج
الاوقات اليهم وينسونك ولئن لم يفعلوا ذلك فماذا عسى ان يكون بيديهم
والى كم ذا تبلغ قدرتهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم كيف يشاء
والى ما يشاء فاعقل ايتها النفس ولا تضيعن طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك
ثناء من ثناؤه كل فخر وعطاؤه كل ذخر ولقد صدق القائل

سهر العيون لغير وجهك باطل ... وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقل يا نفس جنة الخلد خير أم لطخة من جراء الدنيا وحطامها
النكد الفاني وأنت متمكنة من أن تحصلي بطاعتك هذا النعيم
المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة ردية الإرادة دنية الأفعال أما ترين
الحجاج إذا كان سمائيا كيف يغلو قيمته ويزداد قدره فإذا رفع
بهمتك كلها إلى السماء وجردي قلبك لله تعالى الواحد الذي
بيده الأمر كله ولا تضيعي ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء وكذلك
إذا أحسنت التأمل فرأيت أيادي الله ومننه العظام عليك
في هذه العبادة والطاعة بأن أهلك منها وأعطاك الآلة
أولا ثم أزاح العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم
خصك بالتوفيق والتأييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها
ثالثا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك
وكثرة نعمه عليك أعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل
والثواب العظيم الذي لا تستحقينه رابعا ثم شكرك على ذلك
وأثنى عليك وأجمل بذلك خامسا كلها بفضله العظيم لا غير
ولا بأن استحقاق لك وأي قدر لعملك الحقير المعيوب
فاذكري أيتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما أحسن إليك
في هذه الطاعة واستحيي من أن تلتفتي إلى عملك بل الفضل
والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه

الطاعة إلا التضرع والابتهال إلى الله سبحانه بأن يتقبلها أما تسمعين
قول خليله إبرهيم لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل إليه
في أن يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم
فلما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء فلئن من عليك بقبول
هذه البضاعة المزجاة فلقد أكمل المنة وأعظم النعمة ويا لك
من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تربين لذلك من خلعة ونعمة وذخر
وكرامة وإن تكن الأخرى فيا لك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي
واشتغلي بهذا الشأن وإذا واظبت على مثل هذا وكررته على
قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك
عن الالتفات إلى الخلق والنفس وشغلك عن مراآة والإعجاب
وبعثك على محض الإخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر
منة الله تعالى عليك في جميع الحالات ويحصل لك بها فيما أرجو طاعات
طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها وعبادات مقبولة
بل مثل هذه الطاعة ولو حصلت في العمر مثلا مرة
واحدة لا غير فإنها بالحقيقة الكثيرة لعمري إنها وإن قل عددها
لقد كثر معناها وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقباها وإن
التوفيق لمثلها عزيز والفضل بيد الله تعالى على العبد لكثير
فأي هدية أجل من هدية يقبلها رب العالمين وأي سعي أكرم
من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين وأي بضاعة أعز من بضاعة
اختارها ورضيها رب العالمين

اختارها ورضيها رب العالمين فتأمل أيها المسكين وإياك أن تكون
المغبونين فإذا أجريت الأمر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله سبحانه
الخالصين الذاكرين لمننه المرضيين وكنت قد خلفت هذه العقبة
المخوفة وسلمت من آفاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فإنها على الأبد كرامتها
وسعادتها إن شاء الله وبالله التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم

العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك

وفقك الله وإيانا بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر
بالمقصود من العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله سبحانه
على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة وإنما يلزمك ذلك لأمرين
أحدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فأما دوام النعمة
فلأن الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله سبحانه
إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال جل من قائل
فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون وقال سبحانه وتعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم
وآمنتم وقال صلى الله عليه وسلم إن للنعم أوابد كأوابد الوحوش
فقيدوها بالشكر وأما حصول الزيادة فلما كان الشكر قيد
النعمة فهو ثمن الزيادة قال الله سبحانه لئن شكرتم لأزيدنكم والذين
اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالسيد الحكيم إذا رأى العبد قد قام بحق نعمة يمن عليه

بأخرى وبراه أهلاً لها وإلا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنياوية
ودينية فالدنياوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع أن أعطاك
المصالح والمنافع وهي ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها
والملاذ المشتهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها
من فوائدها ونعمة الدفع أن صرف عنك المفاسد والمضار وهي
ضربان أحدهما في النفس بأن سلمك من زمانتها وسائر آفاتها وعللها
والثاني في دفع ما يلحقك به من ضرر من أنواع العوائق أو من يقصدك
بسوء من إنس وجن وسباع وهوام ونحوها وأما النعمة الدينية
فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق أن وفقك أولاً
للإسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة أن عصمك أولاً عن الكفر
والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم سائر المعاصي وتفصيل ذلك
لا يحصيه إلا السيد العالم الذي أنعم عليك كما قال وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وإن دوام هذه النعم كلها بعد ما منّ عليك بها والزيادة
عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك كلها متعلق بشيء واحد
وهو الشكر والحمد لله فإن خصلة يكون لها كل هذه القيمة ويكون
فيها كل هذه الفائدة لحقيق أن تتمسك بها من غير إغفال
بحال فإنه جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله ولي التوفيق والهداية بفضله ومنه ورحمته
فأما حقيقة الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فاعلم أن العلماء فرقوا
بين الحمد والشكر عند التحصيل بأن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل

والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من أشكال الصبر والتفويض
فيكون من المساعي الباطنة ولأن الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم
ولأن الحمد أعم وأكثر والشكر أخص وأقل قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور فثبت أنهما معنيان متميزان ثم إن الحمد هو الثناء
على الجميل بالفعل الحسن وهذا مقتضى كلام شيخنا رحمه الله وأما
الشكر فتكلموا في معناه وأكثروا فعن ابن عباس رضي الله عنه
أنه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر
والعلانية وإلى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو أداء الطاعة
في الظاهر والباطن ثم رجع إلى أنه اجتناب المعاصي ظاهرا
وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اجتناب معاصي الله تحترس
على قلبك ولسانك وأركانك حتى لا تعصي الله بشيء من هذه الثلاثة
بوجه من الوجوه والفرق بينه وبين قول الشيخ الأول أنه جعل
الاحتراس معنى مثبتا زائدا على الاجتناب عن المعاصي
وأما الاجتناب عن المعصية فهو أن لا تفعل المعصية عند
دعوة عنها ولا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبد به مشتغلا
وعن الكفران معتصما قال شيخنا رحمه الله إن الشكر تعظيم
المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه
ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة إحسانه ليصح أن يكون من
الله الشكر للعبد فحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها

في كتاب إحياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل أن الشكر من العبد
تعظيم يمنع من جفاء المحسن إليه وذلك بتذكر إحسانه وحسن حال
الشاكر بشكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت إن أقل ما يستوجبه
المنعم بنعمته أن لا يتوصل بها إلى معصيته وما أقبح حال من جعل
نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فيحصل العبد إذا من فرض الشكر
في حقيقته أن يكون له من تعظيم الله ما يحول بينه وبين معاصيه
على حسب تذكر نعمه فإذا أتى بذلك فقد أتى بما هو الأصل فيه ثم يقابل
ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة إذ هو من حقوق النعمة
فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فإن قلت فما موضع
الشكر فاعلم أن موضعه النعم دينية ودنياوية على أقدارها فأما
الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس أو أهل أو مال فتكلموا في ذلك
هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث
هي وإنما يجب فيها الصبر وأما الشكر فهو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة
إلا وفي جنبها نعم لله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون
نفس الشدة وتلك النعم كما قاله ابن عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلية
إلا وقد كان لله تعالى علي فيها أربع نعم إذ لم تكن في ديني وإذ لم تكن أعظم
منها وإذ لم أحرم الرضا وإذ رجوت الثواب عليها وقد قيل
من تلك النعم أن تلك الشدة زائلة غير دائمة وأنها من الله عز وجل
دون غير الله وإن كانت بسبب مخلوق فإنها لك عليه لا له عليك فإذا يلزم العبد

الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال آخرون وهو الاول عند شيخنا رحمه الله
ان شدائد الناس في الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد
نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة
واعواض كريمة في العاقبة يتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدائد ولا نعمة
تكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها مر المذاق شديدا او يفصدك
او يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة
البدن وصلاح العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء او جراحة الفصد
او الحجامة نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورة مكروه ما ينفر
عنه الطبع ويستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك هذا
بل تحسن اليه بما املكك فكذلك حكم هذه الشدائد اما ترى ان النبي عليه
السلام كيف حمد الله وشكره على الشدائد شكره على المسار حيث
قال الحمد لله على ما ساء وسر الا ترى كيف يقول جل جلاله وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثر مما يبلغه
وهمك ويؤكد هذا القول ان النعمة ليست غير اللذة وما تشتهيه
النفس بمقتضى الطبع انما هي ما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك
تسمى نعمة في معنى الزيادة واذا كانت الشدة مما يصير سببا
لزيادة شرف العبد ورفعة درجته فتكون نعما بالحقيقة وان كانت
تعد من الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت

فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قد قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى
وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه في منزلة الانبياء
والعافية ولذلك قيل لان أنعم فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع
منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت اما الشاكر بالحقيقة
لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار
المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم
على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة كما ذكرنا
ان الشدائد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم فانه شاكر بالحقيقة اذا صبر
لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه اذ هو
تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية
وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة
والصابر عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على
الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن
اللذات مع قصد النفس اليها شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر
والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الآخر ولان البصيرة
الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا رحمهم الله

فمن هذا الوجه قلنا إن أحدهما لا ينفك عن الآخر فاعلم هذه الجملة
وبالله التوفيق **فصل** فعليك أيها الرجل ببذل المجهود في
قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة العنصر
العظيمة القدر وتأمل أصلين أحدهما أن النعمة إنما تعظم من يعرف قدرها وإنما
يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله سبحانه في الحكاية عن الكفار
والرد عليهم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين
ظن أولئك الجهال أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة إنما تعظم
لمن يكون أكثرهم مالا وأشرفهم حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء
من عمار ومن العبيد والموالي أعطوا هذه النعمة العظيمة من بينهم
دوننا فقالوا على طريق الاستنكار والاستكبار ومجرى الاستهزاء أهؤلاء
من الله عليهم من بيننا فأجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة فقال
أليس الله بأعلم بالشاكرين تقدير الكلام أن النسية الكريمة إنما يعظم
نعمتها من يعرف قدرها وإنما يعرف قدرها من أقبل عليها بنفسه وقلبه
فاختارها على غيرها ولا يبالي بما تحمل من أعباء المؤنة في تحصيلها ثم لا يزال
بالباب قائما يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق أن هؤلاء الضعفاء
يعرفون هذه النعمة ويقومون بشكرها فكانوا أولى بهذه النعمة منكم
فلا اعتبار بغناكم وثروتكم ولا جاهكم في الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم
وإنما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلى لا
الدين والحق ومعرفته وإنما تعظمون ذلك وتتفاخرون به إذا ترون

أنكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق إلا بمنة علي وإذا أتاكم به
وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة حبكم إلا ما ابتليتم به ولكن هؤلاء الضعفاء يقبلون
بأنفسهم على ذلك ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم ومن
عاداهم مع ذلك لتعلموا أنهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ
في قلوبهم تعظيمها فهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب لهم احتمال
كل شدة يستغرقون جميع العمر في شكرها فلذلك استأهلوا هذه المنة
العظيمة والنعمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذا هذا
ثم أقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله بنعمة من نعم الدين
علم أو عمل فإنك تجدهم بالحقيقة أعرف الناس بقدرها وأشدهم تعظيما لها
والذين حرمهم ذلك فلقلة احتفالهم وتعظيمهم لحقها بعد القدر السابق فلو كان
تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقية والعامة مثل ما هو في قلوب
العلماء والمتعبدين لما آثروا سوقهم عليه وهان عليهم تركه ألا ترى
أن فقيها إذا ظفر بتحقيق مسألة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح
قلبه ويعظم سروره ويجل موقعه من قلبه حتى إنه ربما لو وجد ألف دينار
لما كان يعدل ذلك وربما يهمه أمر مسألة في باب الدين فيتفكر فيها سنة
بل عشرا بل عشرين والأكثر ولا يستثقل ذلك ولا يمل حتى ربما رزقه
الله تعالى فهم ذلك فيعده أعظم منة وأكبر نعمة ويرى نفسه بذلك أغنى
كل غني وأشرف كل شريف بل ربما تبين مثل هذه المسألة لسوقي
أو متعلم كسلان يرى من نفسه أنه مثله في الرغبة في العلم والمحبة له

فلا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه الكلام يمل ويتأذى ولئن تهيأ ذلك
له فلا يعده كبير امر وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويدأب بالرياضة
وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجاه والاركان في الحركات
والسكنات عسى ان يتم الله له ركعتين في ادب وطهارة وكم يتضرع
الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة فلئن ظفر
بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في العمر كله مرة عد ذلك الكرامة
واعظم نعمة فلم يسره وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث لما قاساه
من المشقات وكابده من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي
يزعم انه راغب في العبادة يحب ان يحصل منها شيئا لو احتاج
احدهم في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى نقصان لقمة في
عشائهم وترك كلمة لا تعنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم
فلا تسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم ولئن اتفق لهم في النادر
حصول عبادة في صفوة فلا يعدونه خطيرا ولا يقدرون فيه كثير
شكر ولا يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر جهدهم اذا حصل لهم
درهم او استقامت لهم كسوة او طابت لهم مرقة او طالت لهم سلامة
في البدن فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله هذا من فضل الله
فاني يتساوى هؤلاء الغافلون العاجزون اولئك السعداء المجاهدين
ولذلك صار هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك المؤيدون
به ظافرين فائزين وكذلك قسم الامر احكم الحاكمين وهو اعلم

فاذا علمت هذا التفصيل قوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين فتفهم
وراع حقه واعلم انك لن تحرم تطخيرا انت ثمنها الآن قبل نفسك
فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله وتعظمها حق تعظيمها فتكون
اهلا لها ولاعطائها ثم عليك بابقائها كما عليك بابتدائها
على ما نذكره في الاصل الثاني انه الرؤف الرحيم. الاصل
الثاني ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الكفور الذي
ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه
بها ولكنه اخلد الى الارض الآية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد
بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين كما مكناه بذلك من تحصيل
الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم
القدر كثير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة
الحقيرة وآثر شهوة نفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن
عند الله عند ادنى نعمة من نعم الدين جناح بعوضة فكان في ذلك بمنزلة
الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الخسارة وانما
الكرامة كلها عنده كسرة يطعمها او عرق كان يلقى اليه سواء اقعدته
على سرير معك او تقيمه في التراب والقذر بين يديك لا يميز بينهما ولذا لا يهمه
ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذ جهل قدر نعمتنا ولم يعرف
حق ما اتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء في مقام القربة

ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة
خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة واحضرناه ميزان العدل واجرينا فيه
بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا
فانسلخ عاريا عن جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا
رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤف رحيم
ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه
منه ويجعله فوق سائر خدامه وحجابه ويامره بملازمة بابه ثم
يامر ان يبنى له في موضع آخر القصور وتوضع له الاسرة وتنصب له
الموائد وتزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة
جلس هناك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته الى ملكه وولايته
الا ساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا
للدواب ياكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك
بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ما له من الخلع والكرامة
فيسعى الى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه
او يزاحم الكلب على عظمه ويغبطهما ويعظم ما هما فيه اليس الملك
اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه لم يعرف
حق كرامتنا ولم يدر قدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقريب
الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من عنايتنا واسررنا له من الذخائر وضروب
الايادي فما هذا الا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه

الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد
اذا اتبع الهوى فبعد ما اكرمه الله بعبادته ومعرفة آياته وشريعته
واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شيء عند الله فيرغب فيه
ويحرص عليه ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع ما اعطي من تلك النعم العزيزة من العلم
والعبادة والحكم والحقائق وكذلك من خصه الله تعالى بانواع توفيقه
وعصمته وزينه بانوار خدمته وعبادته ويديم اليه النظر بالرحمة
في اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته واقعده على بابه العبادة
والوجاهة واحله محل الشفاعة وانزله منزلة الاعزة حتى صار
بحيث لو دعاه لاجابه ولباه ولو سأله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم
لشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر
بباله شيء اعطاه قبل ان يسأله بلسانه فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه
النعم او لم ينظر الى قدر هذه النعمة فيعدل عن ذلك الى شهوة لنفس ردية
لا حياء لها او لعقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء لها ولم ينظر
الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن والعطايا ثم ما وعد واعد له
في الآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما احقرها من نفس
وما اسوأه من عبد وما اعظم خطره لو علم وما افحش صنيعه
لو فهم نسأل الله البادئ بالرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة
نعمته انه ارحم الراحمين فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى
تعرف قدر نعم الله تعالى عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك

لئلا تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون
بما اولاك ربك من نعم الدين الا تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم الآية فقد بين لك ان من اوتي القرآن العظيم فحقه ان لا ينظر
الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحسان فضلا ان يكون له
فيها رغبة وليلازم الشكر على ذلك فانه الكرامة التي حرص خليله ابراهيم
عليه السلام ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص نبيه حبيبه المصطفى
ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه يصبه
على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه
حتى غرقوا فيها ويصرفها عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه
انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم بان لا يلطخهم بقذرها حتى
قال عز من قائل لموسى وهرون ولو شئت لزينتكما بزينة علم فرعون حين
يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغب
بكما عنه وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود
الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها
وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي وقال تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا
وقل الحمد لله الذي من علي بمنن اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه

والتقصير بالشكر لا دفع الحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام
فانها الاولى والاحرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها فان كنت عاجزا
عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت
في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت تفي بذلك ولما قضيت بعض الحق
لما هيأ لك من الفوز العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه
علمي من قدر هذه النعمة ولو اطنبت فيه القول برمته لكان مبلغ علمي فوق
ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه كقطرة في بحار الدنيا
باسرها الا تسمع ولا تكل قوله تعالى لسيد المرسلين صلوات الله عليه
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال للقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان الا تسمع قوله صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد
لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير
على يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته قال على الاسلام قال
الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده
في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا الى الاسلام
واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة
والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا امن والغفلة فان الامور بالعواقب
وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما امن احد على دينه الا سلبه وكان
شيخنا رحمه الله يقول اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار

فلا تأمن على نفسك فإن الأمر على الخطر ولا تدري ماذا يكون من العاقبة
وماذا سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الأوقات فإن تحتها
غوامض الآفات وقال بعضهم يا معشر المغترين بالعصمة إن
تحتها أنواع النقم زين الله إبليس بأنواع عصمته وهو عنده في حقائق
لعنته وزين بلعم بأنوار ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعلي
رضي الله عنه كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مغبون بحسن القول فيه
وكم من مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما أقصى ما يخدع به العبد
قال بالألطاف والكرامات لذلك قال الله سبحانه وتعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نقدر بهم نوسع عليهم النعمة وننسيهم الشكر

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت • ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم أنك كلما صرت أقرب فالأمر لخوف أصعب والمعاملة أشد
وأدق والخطر عليك أعظم فإن الشيء كلما كان أبلغ علوا إذا انقلب
كان أصعب وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع إلا كما طار وقع
فإذا لا سبيل إلى الأمن وإغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ
بحال وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول كيف آمن وإبراهيم
الخليل عليه السلام كان يقول واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ويوسف
الصديق عليه السلام يقول توفني مسلما وكان سفيان الثوري رحمه الله
لا يزال يقول اللهم سلم سلم كأنه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا

عن محمد بن يوسف أنه قال تأملت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل أجمع فقلت
بكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا فقال الذنوب أهون على
الله من هذا إنما أخشى أن يسلبني الإسلام والعياذ بالله وسمعت أنا بعض
العارفين يقول إن بعض الأنبياء سأل الله تعالى عن أمر بلعم وطرده
بعد تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرني يوما من الأيام
على ما أعطيته ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ أيها الرجل
واحتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله على منته في الدين أعلاها
الإسلام والمعرفة وأدناها مثلا توفيق تسبيحة أو عصمة عن كلمة
لا تعنيك عسى أن يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فإن أمر
الأمور وأصعبها الإهانة بعد الإكرام والطرد بعد التقريب والفراق
بعد الوصال والله تعالى الماجد الرؤوف الرحيم

فصل

وجملة الأمر أنك إذا أحسنت النظر في منن الله تعالى العظام عليك وأياديه
الكرام الجسام لديك التي لا يحصرها قلبك ولا يحيط بها وهمك حيث
خلفت هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصائر
وتطهرت عن الأوزار والكبائر وسبقت العوائق ودفعت العوارض
وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها
من خصلة شريفة ورتبة منيفة أولها التنبيه والتعريف
وآخرها التقريب والتشريف فتأملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك
وتشكر الله تعالى عما قدر طوقك بأن تشغل لسانك بحمده وثنائه

وتملأ قلبك بعظمته ويبلغك مبلغا تحول بينك وبين عصيانه ويبعثك على
الحمد له بما امكنك او بسعة طاقتك معترفا بالقصور من حق
انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره او فترت او زللت عاودت
واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت
بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فأتممه بفضلك ايضا من غير
استحقاق وتبادر به بدأب الاولياء الذين وجدوا نتاج هدايته وذاقوا
حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة
البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين
ومدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا في الخلوات مستصرخين ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب قلت انا نقدر والله اعلم انا وجدنا منك نعمة فقطعنا
في اخرى لانك انت الجواد الوهاب فكما وهبت مرة الانعام في الابتداء
فهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء ثم تأمل ان اول دعاء علمه رب
العالمين عباده المؤمنين الذين اصطفاهم من بين خلقه هذا الدعاء قوله
اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا فهكذا تضرعه
اليه فان الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فرجعوا مصائب العالم
ومحنها الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب
والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال
لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
وكذلك في كل نعمة انعم عليك وتأييد ايدك به في قطع عقبة من العقبات
ليثبت عليك ما اعطاك ويزيدك فوق ما تود وتتمنى فاذا فعلت ذلك
لكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة وظفرت بالكنزين الكريمين
العزيزين اللذين هما الاستقامة والاستزادة فتبقى لك النعم
الموجودة التي اعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة
التي لم تعط بعد كلا تحسن ان تسألها وتتمناها فلا تخشى فواتها
ولتحشرن من العارفين العالمين بالله بالدين الثابتين الطاهرين الزاهدين
المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب
والاركان القاصرين الامل الناصحين الخاشعين المتواضعين
المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين الراجين المخلصين
الذاكرين المنة الشاكرين لانعم رب العالمين ثم تصير بعد ذلك
من المتقين المكرمين من الصديقين فتأمل هذا الكلام والله تعالى
ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابدون
العابد لهذا المعبود والواصل الى هذا المقصود ومن الذي يقوى
على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرائط فاعلم ان الله تعالى كذلك
يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون
لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله عليه وعلى العبد الاجتهاد
وعلى الله الهداية قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

وإذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني
الكريم الرحيم فإن قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة
فكيف يبقى العمر حتى يتكمل هذه الشرائط ويقطع هذه العقبات
فلعمري إن العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن إذا أراد الله تعالى
أن يجتبي عبدا قصر عليه طولها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد
قطعها ما أقرب هذه الطريق وأقصرها وما أهون هذا الأمر وأيسره
وفي مثل هذا قلت أنا عندوقوفي على هذه الغاية علم المحب وأضحى بلده
وأرى القلوب عن المحجة في عمى ولقد عجبت لهالك ونجاته
موجودة ولقد عجبت لمن نجا حتى إن منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين
سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم في عشر سنين ومنهم من يحصل
له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى
إن منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة أما تذكر
أصحاب الكهف كان مدتهم لحظة حيث رأوا التغير في وجه ملكهم
دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها الآية
فقطعوا هذه الطريق فصاروا
مفوضين متوكلين مستقيمين إذ قالوا فأووا إلى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وكل ذلك إنما حصل
لهم في مقدار ساعة أو لحظة أما تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم
إلا لحظة حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون

فأبصروا الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة إلى ساعة بل أقل
من العارفين بالله والأصبر بفضل الله الصابرين على البلاء الشاكرين للآلاء
المشتاقين إلى لقائه فنادوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ولقد حكي لنا
أن إبراهيم بن أدهم كان على ما كان عليه من أمر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد
هذا الطريق فلم يكن إلا مقدار سيره من بلخ إلى مرو الروذ حتى صار
بحيث أشار إلى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك أن قف
فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وإن رابعة البصرية كانت أمة
كبيرة يطاف بها في سوق البصرة للسوم والبيع فلا يرغب فيها أحد للكبر
سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها فاختارت
هذا الطريق وأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها
زهاد البصرة وقراؤها وعبادها وعلماؤها لعظيم منزلتها
وأما الذي لم يسبق له العناية وكل إلى نفسه فربما يبقى في شعب
من عقبة واحدة سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما أظلم
هذا الطريق وأشكله وأعسر هذا الأمر وأعضله فإن الشأن
كله إلى أصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فإن قلت
لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان
في ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادى من سرادق الجلال
أن الزم الأدب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فإنه لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون قلت أنا ومثال هذا الطريق في الدنيا

الصراط في الآخرة في عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف أحوال
الخلق فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح
العاصف وآخر كالفرس الجواد وآخر كالطائر وآخر يمشي وآخر
يزحف على قمته حتى يصير فحمة وآخر يسمع حسيسها وآخر يوخذ
بكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك حال هذا الطريق مع سالكيه
في الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط الآخرة
للأنفس يرى أهوالها أهل الأبصار وصراط الدنيا للقلوب يرى
أهوالها ذوو البصائر والألباب وإنما اختلف الأحوال للسالكين في الآخرة
لاختلاف أحوالهم في الدنيا فتأمل ذلك حقه فهذه مقدمة

فصل

ثم اعلم أن ملاك التحقيق في هذا الباب ومعاناته أنه ليس هذا الطريق في طوله
وقصره مثل المسافات الكائنة التي تسلكها الأنفس فتقطعها بالأقدام
فيقع قطعها على حسب قوة الأنفس وضعفها إنما هو طريق روحاني
يسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر أصله
نور سماوي ونظر إلهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين
بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا أثرا منه
وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك
وآخر يجده في خمسين وآخر في عشر وآخر في يوم وآخر في ساعة ولحظة
بعناية رب العزة وهو تعالى ولي الهداية لكن العبد مأمور بالاجتهاد فعليه
بما أمر والأمر مقسوم مقدور والرب حكم عدل يفعل بسلطانه ما يشاء ويحكم ما يريد

١٢٠

فإن قلت فما أعظم هذا الخطر وأشد هذا الأمر وكل الذي يحتاج
إليه هذا العبد الضعيف فكل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط
لماذا فأقول لعمري إنك صادق في قولك إن الأمر شديد والخطر عظيم
ولذلك قال الله تعالى لقد خلقنا الإنسان في كبد وقال تعالى إنا عرضنا الأمانة
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم
قليلا وما روي أن المنادي ينادي من السماء ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم
إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول السلف رضي الله عنهم
فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال وددت أني كنت خضرة تأكلني
الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع إنسانا يقرأ
هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها
تمت وقال أبو عبيدة رضي الله عنه وددت أني كبش لأهلي فيتعرقون
لحمي ويحسون مرقي وعن وهب بن منبه خلق ابن آدم أحمق
ولولا حمقه ما هنأه عيش وعن الفضيل إني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون القيامة إنما أغبط
من لم يخلق وعن عطاء السلمي لو أن نارا أوقدت فقيل من ألقى
نفسه فيها صار لا شيء لخشيت أن أموت من الفرح قبل أن أصل
إلى النار فالأمر إذا أيها الرجل شديد كما تقول بل أشد وأعظم

حاجة تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز العليم
فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال
دائما الى الله تعالى عسى ان يرحمه فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا لماذا
فهذا كلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا
في جنب ما يطلبه العبد الضعيف اتدري ما يطلب ايها العبد الضعيف
اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني
الملك في الدارين اما السلامة فان الدنيا وفتنها وغوائلها بحيث لم يسلم
منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتى روي
انه اذا عرج بروح العبد الى السماء تقول ملائكة السموات متعجبين
كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا والآخرة في اهوالها
وشدائدها بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسالك
اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو
فمراد ان يسلم من عقبتين هائلتين فيخرج منها بالاسلام سالما لا يصيبه
فتنة ومن اهوال القيامة فيدخل الجنة سالما لا يصيبه نكبة ايكون ذلك
امرا هينا واما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشيئة
ولن يكون ذلك بالحقيقة في الدنيا الا لاولياء الله والاصفياء الراضين بقضائه
البحر والبر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة والجن
والانس والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤون شيئا الا ملكوا لانهم
لا يشاؤون الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق

ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل شيء دون الله واين الملوك
واين الملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اخس واذل واما ملك
الآخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم
بما يقول فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا باسرها قليلة وان
بقاءها من اولها الى آخرها لقليل ونصيب احدنا من هذا القليل قليل ثم
الواحد منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل
في بقاء قليل فان حصل له ذلك فيعذر بل يغبط ولا يستكثر ما بذل فيه
من المال والنفس نحو ما ذكر امرؤ القيس حيث قال

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه … وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما … نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر
مع ذلك ان يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا
بل لو كان له الف الف نفس والف الف روح والف الف عمر كل عمر مثل عمر الدنيا واكثر
فيبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر
بعد ذلك بما طلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه كبيرا
فتنبه ايها المسكين من رقدة الغافلين ثم انا قلنا ما يعطيه الله سبحانه
وتعالى العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق ثم فوجدنا
على الجملة اربعين كرامة جملة عشرين منها في الدنيا وعشرين في الآخرة اما التي في الدنيا فالاولى ان يذكره الله
ويثني عليه واكرم بعبد يكون رب العالمين في ذكره وثنائه اذكروني اذكركم

والثانية أن يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك
وعظمك لتشرفت به فكيف بإله الأولين والآخرين الثالثة أن يحبه
ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في
مواطن عديدة فكيف بمحبة رب العالمين الرابعة أن يكون الله له
وكيلا يدبر أمره الخامسة أن يكون لرزقه كفيلا يوجهه إليه
من حال إلى حال من غير تعب أو وبال السادسة أن يكون له نصيرا
يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء السابعة أن يكون له
انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال الثامنة
عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها بل [illegible] تخدمه ملوك
الدنيا وجبابرتها التاسعة رفع الهمة فيترفع عن التلطخ بمقاذير
الدنيا وأهلها ولا يلتفت إلى زخارفها وملاعبها ترفع الرجال الالباء
عن ملاعب الصبيان والنسوان العاشرة غنى القلب فيكون له غنى
عن كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس منشرح الصدر لا يفتر عنه
جد ولا يهمه عدم الحادية عشر نور القلب فيهتدي بنور قلبه
إلى علوم وأسرار وحكم لا يهتدي إلى بعضها غيره إلا بجهد جهيد
وغم مديد الثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء من محن
الدنيا ومصائبها ومكارهها ومؤن الناس ومكائدهم الثالثة عشر المهابة
والموقع في النفوس يحترمه الأخيار والأشرار ويهابه كل فرعون
وجبار الرابعة عشر المحبة في القلوب يجعل لهم الرحمن ودا فترى

فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه
والخامسة عشر البركة العامة في كل شيء من كلامه أو نفسه أو فعله
أو ثوبه أو مكان حتى يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما
وبانسان صحبه ورآه حينا السادسة عشر تسخير الأرض من البر
والبحر حتى إن شاء سار في الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الأرض
بأقل من ساعة السابعة عشر تسخير الحيوان من السباع والوحوش والهوام
وغيرها فتجيبه الوحوش وتبصبص له الأسود الثامنة عشر ملك
مفاتيح الأرض بحيث ما يضرب يده فله كنز إن أراد وحيث ما يضرب
رجله فله عين إن احتاج وأينما نزل فله مائدة تحضره إن قصد
والتاسعة عشر القيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغي الخلق
الوسيلة إلى الله بخدمته ويستنجح الحاجات من الله بجاهه وبركته
والعشرون إجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسأل الله شيئا إلا أعطاه ولا يشفع
لأحد إلا شفع ولو أقسم على الله لأبره بما شاء حتى إن منهم لو أشار إلى
جبل لزال فلا يحتاج إلى السؤال باللسان ولو خطر بالبال لحضر
فلا يحتاج إلى الإشارة باليد فهذه كرامات في الدنيا وأما التي في العقبى
فالحادي والعشرون أن يهون عليه سكرات الموت وهي التي
وجلت قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم منها حتى سألوا الله أن يهونها
عليهم حتى إن منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال
للظمآن قال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين والثانية والعشرون

التثبيت على المعرفة بنور الإيمان ومنه الذي منه الخوف والفزع وعليه
كل البكاء والجزع قال عز من قائل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة والثالثة والعشرون إرسال الروح والريحان
بالبشرى والأمان قوله سبحانه ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة
التي كنتم توعدون فلا يجزع مما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على
ما خلفه في الدنيا والرابعة والعشرون الخلود في الجنان
والخامسة والعشرون الجلوة في السر لروحه على ملائكة السموات
بالإكرام والألطاف والإنعام ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته
والزحمة على الصلوة عليه والمبادرة إلى تجهيزه ويرجون بذلك
الثواب ويعدونه لأعظم غنم والسادسة والعشرون الأمان
من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن ذلك الهول والسابعة
والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون روضة من رياض الجنة إلى يوم القيمة والثامنة
والعشرون إيناس روحه ونسمته والإكرام لها فتجعل في أجواف طير خضر
مع الإخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله
والتاسعة والعشرون الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج
وبراق والثلاثون بياض الوجه ونوره قال تعالى وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والحادية والثلاثون
الأمن من أهوال يوم القيمة قال تعالى أمن يأتي آمنا يوم القيامة
والثانية والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من لم يعط الكتاب أصلا

والثالثة والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلا
والرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن
أصلا والخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم
فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبدا والسادسة والثلاثون جواز
الصراط والنجاة من النار حتى أن منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له
النار والسابعة والثلاثون الشفاعة في عرصات القيمة
نحو من شفاعة الأنبياء والرسل عليهم السلام والثامنة والثلاثون
ملك الأبد في القيمة والتاسعة والثلاثون الوصول الأكبر في الجنة
والأربعون لقاء رب العالمين إله الأولين والآخرين بلا كيف جل جلاله
والنظر إلى وجهه العزيز ثم أقول وإنما عددت ذلك على حسب
فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد أجملت
وأوجزت وذكرت بعض الأصول والجمل ولو فصلت بعض
ذلك لما احتمله الكتاب ألا ترى أني جعلت ملك الأبد خصلة واحدة
ولو فصلتها لارتفعت عن أربعين خصلة من نوع الحور والقصور
واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط
بها إلا عالم الغيب والشهادة الذي خلقها وكلها إذ لا سبيل
لنا إلى معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما أخفي لهم
من قرة أعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولنا المفسر

يقول في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي إن هذه
الكلمات التي يقول الله لأهل الجنة في الجنة باللطف والإكرام ومن يكون
حالته هذه فأنى يبلغ جزءًا من ألف جزء منه وهم بشر وتحيط به
علم مخلوق كلا بل تتقاعد الهمم وتتقاصر دونه العقول وحق
أن يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل
العظيم وحسب الجواد القديم ألا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون
جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا أن ذلك كله لاقل
قليل في جنب ما هم إليه محتاجون وإياه يطلبون وله يتعرضون
وليعلموا أن العبد لا بد له في الجملة من أربعة أنحاء العلم والعمل والإخلاص
والخوف فيعلم أولًا الطريق وإلا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم وإلا فهو
محجوب ثم يخلص العمل وإلا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر
من الآفات إلى أن يجد الأمان وإلا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون
رحمه الله يقول الخلق كلهم موتى إلا العلماء والعلماء كلهم نيام
إلا العاملون والعاملون كلهم مغترون مغرورون إلا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم قلت إذًا فالعجب كل العجب من أربعة
من عاقل غير عالم أما يهتم بمعرفة ما بين يديه أما يتعرف ما هو مطلع
بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلائل والعبر والاستماع إلى هذه
الآيات والنذر والانزعاج بهذه الخواطر والهواجس في النفس
قال الله تعالى أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله

من شيء وقال تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم
والثاني من عالم غير عامل أما يتذكر ما يعلم يقينًا مما بين يديه من
الأهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو النبأ العظيم
الذي أنتم عنه معرضون والثالث من عامل غير مخلص أما يتأمل
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك
بعبادة ربه أحدًا والرابع من مخلص غير خائف أما ينظر
إلى معاملاته جل جلاله مع أصفيائه وأوليائه وبين
خلقه حتى يقول لأكرم الخلق عليه ولقد أوحي إليك وإلى الذين
من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين الآيات
ونحوها حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود وأخواتها
ثم جملة الأمر وتفصيله ما قاله رب العالمين في أربع آيات من الكتاب
العزيز قوله عز وجل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون
ثم قال جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله
خبير بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ثم أجمل الكل فقال وهو أصدق القائلين
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ونحن
نستغفر الله عز وجل من كل ما زل به القدم أو طغى به القلم
ونستغفره من أقاويلنا التي لا توافق أعمالنا ونستغفره مما
ادعيناه وأظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه

[illegible]

بحر كامل

فذرارهم ما دمت في دارهم وارضهم اذ صرت في ارضهم
واحسن العشرة مع بعضهم يعينك البعض على بعضهم

ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنيع وتزين في كتاب سطرناه
او كلام نظمناه او علم افدناه ونسئله ان يجعلنا واياكم معشر
الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه به مريدين ولا يجعله وبالا
علينا ولا ضيعة من منزلة الصالحات اذا ذهبت اعمالنا آلينا انه
جواد كريم فهذا ما اردنا ان نذكره في شرح كيفية سلوك طريق
الزاهد وقد وفينا بالمقصود وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين
الطاهرين وصلى الله على محمد ...

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مهج القلب او سواد العيون
وفرشنا على الطريق خدودا ليكون المرور فوق الجفون

الحمد لله الحمد على نعمته لا احمل ما دمت سوى حمده لا تحزنن على الصبيان ان ضربوا
ابشر فانه عجب قد يدخل شيء في رحمته فالضرب ينفعهم ويبقى العلم
لولا المؤدب كان الناس كلهم مثل البهائم لا علم ولا ادب

[illegible]

خير اعمال الله تعالى
خير ما اعطيه الا بعد
من انسان نبي اعطيه الرعب
علما بغير تعلم ونفقة بغير بضاعة
وعزة بغير عشيرة وانسا بغير

اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه
فقال يا موسى لن صائما مصليا متصدقا
مجاهدا قال داني يكون ذلك يا رب فاوحى
الله تعالى اليه كف لسانك عن الفضول
اكتب لك اجر الصائمين واقطع الرجاء
والطمع عن المخلوقين اكتب لك اجر
المصلين وكف اذاك عن المسلمين
اكتب لك اجر المتصدقين وخالف هواك
اكتب لك اجر المجاهدين

عن ابي موسى قال كان في ناحية ابي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد
ابا يزيد وقال قد حكي لي عنك عجايب فقال له ابو يزيد وما لم تسمع من عجايبي
اكثر فقال علمك هذا يا ابا يزيد عن من ومن من ومن اين فقال ابو يزيد
علمي من عطاء الله تعالى ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل
بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن حيث قال العلم علمان علم ظاهر وهو
حجة الله على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع وعلمك يا شيخ نقل
عن لسان التعليم وعلمي من الله الهام من عنده فقال له الشيخ علمي
من الثقات عن رسول الله عليه السلام عن جبريل عن ربه عز وجل
فقال له ابو يزيد يا شيخ كان النبي عليه السلام علم عن الله لم

زيد عمرونك يرني اذني يوغيكن زراعت ايلسه
زيد اندن كوز حاصلين بچوب خرمنه كتوروب
تحصيل لن قبض ايلكده اوزره ايكن عمرو مزبور
ير بغدار ديو جبراً حصولى الماغه قادر اولورمى
الجواب
الله اعلم

ولو زرع ارض غيره بلا اذنه فالخارج لصاحب البذر
من جامع الفصولين

ومتى فسدت فالخارج لرب البذر وللآخر
اجر مثل ارضه صدر الشريعة

Kütüphanesi
Hacı Mahmud
2325
Eski sayı